بخارى

تحرير: فيتالي نومكين

تصنيف: أندريه نيد فيتسكي

ترجمة: صلاح صلاح

مراجعة: عايدة خوري

الطبعة الأولى
1995

منشورات المجمع الثقافي
Cultural Foundation Publications

ص. ب.: ٢٣٨٠ – ابو ظبي – الإمارات العربية المتحدة – هاتف: ٢١٥٣٠٠
P.O. BOX: 2380 - U.A.E. - ABU DHABI TEL: 215300 - CULTURAL FOUNDATION

Bukhara

BY

VITALI NAUMKIN
ANDREI G. NEDVETSKY

Published by
Garnet Publishing Ltd - U.K
1993

كلمة المصنف

بخارى واحدة من أقدم وأجمل المدن في آسيا الوسطى اشتهرت معالمها المعمارية في كل أنحاء العالم ، وكتب عن تاريخها العديد من الكتب والدراسات العليا . كانت بخارى عاصمة أقوى وأغنى البلاد في آسيا الوسطى . وكان يزورها كل سنة ألوف السواح من كل أرجاء العالم .

ومع ذلك يشتمل تاريخ بخارى على بعض الفراغات . فلقد طوى النسيان بعد الإطاحة بآخر أمير لبخارى سنة ١٩٢٠ وقيام السلطة السوفيتية ، صفحات من تاريخ البلاد وذلك لأسباب سياسية . ولقد بلغ الحد ببعض الكتب التي كتبت في أيامنا في روسيا أو جمهوريات آسيا الوسطى حول تاريخ بخارى في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن تغفل ذكر أسماء الأمراء . لذا أصبح من المستحيل أن نجد مؤرخًا يتمكن من التعرّف على الأمير وأفراد عائلته أو أصحاب المقامات الرفيعة في البلاد من خلال الصور القديمة .

ولكن بإمكاننا الآن وبفضل الأبحاث التي أجريت على الصور والوثائق في مراكز الأرشيف العلمية الروسية والازبكيستانية ، أن نرفع الخمار الذي يحجب الأحداث الغامضة من تاريخ بخارى ولو قليلاً لنتعرّف لأول مرة على تفاصيل حياة أمراء بخارى والناس المحيطين بهم .

ويسجل أرشيف الصور القديمة بالإضافة إلى الشخصيات ، المعالم المعمارية التي اندثر الكثير منها ، ويحفظ الكثير منها ، ويحفظ كذلك صوراً عن حياة أهالي بخارى اليومية وطريقة احتفالهم بالأعياد ، بالإضافة إلى الجوانب المضيئة والمظلمة في حياة

نبلاء بخارى ، وهي حياة ذهبت دون عودة .

إن النسخ الأصلية التي ستراها في هذا الألبوم محفوظة في مراكز الأرشيف التابعة لمعهد الدراسات الشرقية في أكاديمية العلوم الروسية في سان بطرسبيرج ، وفي معهد تاريخ المواد الثقافية لأكاديمية العلوم الروسية ، وجمعية الجغرافيا الروسية ، وكذلك في أرشيف الدولة للسينما ووثائق الصور في أوزبكستان . ولعلّ قصة الكشف عنها قصة مدهشة .

ولقد تمّ العثور على عدد كبير من الصور الموجودة في هذا الكتاب في ألبومين محفوظين في معهد الدراسات الشرقية ، ومدموغين بكل بساطة بكلمة «بخارى» ، وأشير فيهما بأن تاريخهما يعود إلى سنة ١٩٠٨ وقد كتب على الغلاف الحرفان (P.L.) . ولكن لا يوجد في الألبومين مايشير إلى هوية المصور أو إلى كيفية وزمن وجودهما في الأرشيف . ولذا فقد استغرقنا بضعة أشهر من العمل في مراكز الأرشيف العلمية المختلفة والمكتبات للعثور على إجابة عن ذلك . وقد اعتقدنا في البداية بأن الحرفين هما الحرفان الأولان من اسم بافيل ليسار (Pavel Lessar) وهو مندوب سياسي روسي خدم في بخارى من سنة ١٨٩١ إلى ١٨٩٥ ، ومن ثمّ نقل إلى لندن حيث عمل في منصب المندوب السياسي الروسي لشؤون آسيا . ولكن عندما اكتشفنا أن بافيل ليسار توفي سنة ١٩٠٦ ، أي سنتين قبل التاريخ المكتوب على الألبومين ، كان علينا أن نتخلّى عن هذا الاعتقاد . علاوة على ذلك ، فقد مات في بكين حيث كان يشغل منصب السفير الروسي .

وتبيّن عدة دلالات غير مباشرة بأن تاريخ معظم الصور يعود إلى تسعينات القرن

التاسع عشر . وتظهر بعضها رجلاً يرتدي الزي العسكري الروسي برتبة كابتن . ولقد اكتشفنا بعد دراسة مواد الأرشيف الحملات الموجهة إلى بخارى والتي شارك فيها ضباط من الجيش الروسي . كانت إحداها سنة ١٨٩٦ ونظمها ف . أ . ليبسكي ، وهو مكتشف معروف جداً ، ومرافقه الكابتن ل . س . بارششيفسكي . وحين وجدنا أرشيف ليبسكي في جمعية الجغرافيا الروسية ، تعرّفنا على ل . بارششيفسكي في إحدى الصور ـ وهو الكابتن في ألبوم الصور . وبهذه الطريقة استطعنا أن نثبت اسم المصوّر والتاريخ التقريبي الذي التقطت فيه .

أما بالنسبة للألبومين ، فقد وجدنا أن التعليق على الصور ، مكتوب بخط ن . أستروموف وهو مستشرق روسي ، وخبير في تاريخ وحياة مقاطعة بخارى . وهذا ما يؤكد أن الألبومين يخصانه .

ولقد تطلبّ جمع المعلومات عن أمراء بخارى وأفراد عائلاتهم ونبلائها ورجالات الدولة فيها من خلال المراسلات الرسمية والوثائق وتقارير المسؤولين في إدارة المستعمرات الروسية ، جهداً كبيراً . كذلك فقد تمّ العثور على بعض المعلومات عنهم في كتابات وذكريات الرحالة والمكتشفين الأوروبيين والضباط العسكريين الذين زاروا بخارى في أواخر القرن الماضي . علاوة على ما وجد في الصحف الروسية والتركستانية في ذلك الحين .

إن الأغلبية العظمى من الصور التي يشملها هذا السجل المصور تنشر لأول مرة .

فيتالي نومكين

أندري نيدفيتسكي

المصورون

□ ليف سيمينوفيتش بارششيفسكي:

ضابط في الجيش الروسي ، مصور هاوٍ شارك في عدة حملات عسكرية في منطقة سمرقند وبخارى ووادي زراخشان .

اشترك كضابط مقاتل في معركة استيلاء الروس على سمرقند ، ومن ثم خدم في الجيش التركستاني حتى سنة ١٨٩٨ برتبة كابتن في كتيبة الخطوط الأمامية السابعة عشرة . كان يتقن اللغات المحلية كما شارك في معظم الحملات العلمية في تركستان حيث تمتع بشعبية عظيمة بين سكان مقاطعة بخارى . دوّن خلال رحلاته ملاحظات علمية واسعة وجمع عيّنات كثيرة من المعادن والنباتات والحشرات والمقتنيات الأثرية القديمة (تكوّن مجموعته الأثرية القديمة أساس متحف منطقة سمرقند) . بالإضافة إلى ذلك ، كان بحوزته مجموعة غنية من الصور التقط أفضلها في تركستان . كما التقط الصور بآلة تصوير قدّمها له نادار نفسه .

اختير بارششيفسكي ، بسبب مشاركته في الحملات العملية العديدة ، عضواً مراسلاً في كثير من الجمعيات العلمية الروسية والأجنبية ، كما كان كامل العضوية في جمعية الجغرافيا الروسية .

تقاعد بارششيفسكي وهو بمنصب كولونيل ، ومات في شنستوكخوف سنة ١٩١٠ .

□ نادار ـ فيليكس تورناشوف ـ (١٨٢٠ ـ ١٩١٠).

كاتب فرنسي ومصمم وملاّح جوي ومصوّر وصاحب استوديو في باريس تأسس

سنة ١٨٦٨ . حصلت صوره الرائعة على كثير من الميداليات والجوائز في المعارض . زار آسيا الوسطى في أوائل تسعينيات القرن التاسع عشر حيث التقط الصور في سمرقند وبخارى وميرف .

□ **هوردي:**

مصور فرنسي ذائع الصيت ، التقط صوراً كثيرة في مناطق مختلفة من آسيا الوسطى في ثمانينات القرن التاسع عشر ، وأوائل التسعينات منه .

□ **يرماكوف:**

مصوّر روسي شهير ، مات سنة ١٩١٦ .

□ **أ. أنجيل:**

مصوّر وصاحب استوديو تصوير في تيفليس .

□ **م. سافينكوف:**

مصوّر هاوٍ ، زار كخيفا وأرجانش ومدن غرب بخارى ، كاتب كتاب «ألبوم منطقة كخيفا» .



بارششيفسكي يصطاد الخنزير البري

بخارى في نهاية القرن التاسع عشر

يتركز اهتمام جمهور قُرّاء تاريخ آسيا الوسطى عادة على الفتوحات العربية وغزوات جنكيز خان ، وبشكل أكبر ، على فترة تيمورلنك والتيموريين بثقافتها اللامعة والفن المعماري الرائع فيها . ومقارنة بهذه الخلفية المشرقة يبدو القرنان السادس عشر والتاسع عشر كئيبين ويوصفان عادة بعصر الانحطاط والركود . ولقد استخدمت هذه المقولة أحياناً لتبرير الغزوات الروسية التي جلبت في النصف الأخير من القرن التاسع عشر عدداً معتبراً من دول آسيا الوسطى تحت حماية امبراطورية رومانوف .

رغم ذلك ، ثمة آراء تناقض وجهة النظر هذه ، على سبيل المثال ، في حالة أكاداميسيا بارتولد ، أحد أبرز المستشرقين الروس الذي يقول «من الخطأ الافتراض أن الفاتحين الروس جاءوا إلى تركستان البربرية ولم يجدوا إنجازات ثقافية هناك» . ذلك مع إدراكه الكامل بالضرر الذي ألحقته الحروب الضروس في القرون الواقعة بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر بالاقتصاد والثقافة المحلية والذي أضعف بشكل درامي أهمية المنطقة الأورو-آسيوية .

كان في المنطقة في أوائل القرن التاسع عشر ، ثلاث دول بارزة تعرف بآسيا الوسطى أو مناطق أزبك - بخارى في وحول وادي زرافشان ، كخيفا وعاصمتها التي تحمل نفس الاسم في المناطق المنخفضة من أم داريا ، وكوكاند في وادي فرغانا والمناطق الجبلية المجاورة - وقد سيطرت روسيا عليها جميعًا قبل نهاية القرن . ولقد ضمت الامبراطورية الروسية بعد الإطاحة بآخر خانات كوكاند سنة ١٨٧٥ ، أراضيه

إليها لتكون نواة منطقة تركستان . وفي الوقت الذي كانت أملاك حكام بخارى وكخيفا ، وقوتهم تتقلص تمسكوا بعروشهم وقدموا الولاء إلى الإمبراطور الروسي ، وبقيت بخارى أقوى المحميات الروسية في أواسط آسيا طوال القرن .

بزغت بخارى في أوائل القرن السادس عشر في الوقت الذي تعرضت فيه آسيا الوسطى إلى غزو قبائل الأوزبيك البدوية . وظلت عشيرة قائدهم خان محمد شيباني ، في السلطة حتى نهاية ذلك القرن . وفي أواخر سنة ١٥٠٠ ، أصبحت بخارى مركز بنية الدولة الجديدة المعروفة بمقاطعة بخارى . كانت بخارى التي مزقتها الحروب الضروس ، مسرحًا لصراع عنيف على العرش والانشقاقية العنيفة بين نبلاء قبيلة الأوزبيك . وظلّ هذا الضعف قائمًا خلال القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر تحت حكم سلالة الجانيون والأشتارخانيون الحاكمة . وبقي آخر السلالة عبدالحفيظ خان (١١٨١ـ١٧٤٧) ألعوبة ودمية في أيدي رؤساء القبيلة حتى أسره الفارسي نادرشاه المظفر .

ولقد قامت إحدى أكبر القبائل الأوزبكية بتقديم عائلة شريفة النسب إلى الحكم سنة ١٧٥٣ تلقب بسلالة المانجيت والتي استمرت في الحكم حتى سنة ١٩٢٠ . ووضع مؤسسها محمد رحيم نهاية لعبودية الفرس وثبَّت سلطته . وقد حافظت ذريته على قضيته ، رغم عدم استعادتهم لخوارزم ، وطشقند أو فرغانا ، وفي وقت لاحق خسرت منطقة بالخ الحيوية . وشهد أواخر القزن الثامن عشر وأوائل القرن العشرين سلسلة من حروب الغزوات التي قامت بها بخارى ضد جيرانها ، ولكن لم يبقَ في يد أي الخانات سوى وادي زرافشان .

وعلى عكس الشيبانيين والجانيين ، فإن الماجيت لم ينحدروا من جنكيز خان ، لذا حملوا رسميًا لقب الأمراء ، ذلك أن العادات القبلية قد أبطلت ادعاءهم بالملكية ، وأشير إلى بخارى تقليديًا فقط بـ «خانات» ، بينما أصبح لقب إمارة مناسبًا منذ أن اعتلت السلالة العرش .

مع نجاح زراعة الحبوب والخضروات وتربية الخراف للتصدير ، هيمنت الزراعة على الاقتصاد وبدأ القطن يلعب دوراً بارزاً في بداية القرن التاسع عشر ، وازدهرت الحرف اليدوية الصغيرة . وبقيت التجارة على مستوى القرون الوسطى ، بالإضافة إلى كل المؤسسات الاجتماعية والحكومية التي كانت تحت السيطرة الكاملة لسلطة المانجيت الاستبدادية ، في حين سيطر رجال الدين سيطرة كاملة . وكان العالم الإسلامي برمته يتطلع إلى بخارى على أنها معقل الإسلام التقليدي .

وكانت روسيا توسع علاقتها التجارية بثبات مع آسيا الوسطى ، بما فيها بخارى منذ القرن السادس عشر ، وأصبحت شريكها التجاري الرئيسي في منتصف السنوات العشر . وكانت السلع الصناعية الروسية مطلوبة جداً في بخارى ، في حين استوردت روسيا القطن والصوف والحرير والجلد والسلع الأخرى منها .

ولقد احتفظت بخارى ، التي خضعت للعبودية الروسية سنة ١٨٦٨م ، بحكم ذاتي معتبر ، رغم تخلي الأمير مظفر الدين (١٨٦٠م ـ ١٨٨٥م) عن سمرقند والأراضي المحيطة بها ، وتخليه أيضًا عن استقلالية سياسته الخارجية ومنح التجار الروس حرية التعامل التجاري .

في نهاية القرن انضمت بخارى إلى شبكة الجمارك الروسية وعبرتها سكة القوقاز

الحديدية . واستقرت حشود المستعمرين الروس في البلاد ، ووضعت منطقة تركستان العسكرية وكتابها في أماكن متعددة . ولم يدخر آخر أميرين وهما عبدالأحد (١٨٨٥م ـ ١٩١٠م) وسعيد عالم خان (١٩١٠م ـ ١٩٢٠م) جهداً في الحفاظ على الصداقة مع البلاط في سانت بطرسبيرج ، لعلمهما بسقوط عرشهما دون دعم منه . وحتى بعد سنة ١٨٦٨ وبفضل المكافآت الروسية ومناصب الشرف ، تمكنوا من توسيع رقعة ممتلكاتهم في بخارى الشرقية وشاه ري سيابز وحكومات عدة في سفوح تلال بامبير .

ولقد بشَّرت الحماية الروسية باقتراب تقدم مؤلم ولو كان حتمية تاريخية ، جُذبت على أثره بخارى إلى السوق الدولية ، والذي كانت الرأسمالية الروسية لا ريب جزءاً منه . وتحمل الأمراء عن طيب خاطر عبودية الروس رغم أنها حدت كثيراً من حريتهم السياسية .

ولقد أدى سقوط الأمبراطورية الروسية في فبراير سنة ١٩١٧ إلى سيطرة الخوف الكبير وتغلغله داخل النظام البخاري . وكان الأمير سعيد عالم خان محقًا في مخاوفه . فلقد منح البولشفيك ، الذين سرعان ما سيطروا على مقاليد الأمور ، بخارى الاستقلال الرسمي ، لكنهم كانوا ضد التخلي عن النفوذ الروسي . كان شهر أغسطس وشهر سبتمبر سنة ١٩٢٠ ، بمثابة رصاصة الرحمة للإمارة حيث أطاح الجيش الأحمر بقيادة ميخائيل فرونز بسلالة المانجيت وأعلنوا عن قيام جمهورية بخارى الشعبية قصيرة الأمد . وبعد حين قسمت أراضيها بين الجمهوريات التي تم تأسيسها مؤخراً وهي أوزبكستان وطاجيكستان وتركمينستان .

□ الحياة في بخارى في منتصف تسعينات القرن التاسع عشر:

لما كانت هذه المقالة تستهل مجموعة الصور التي توضح حياة بخارى في منتصف تسعينات القرن التاسع عشر ، فسوف نعمد إلى وصف تلك الفترة بالتفصيل .

كانت بخارى آنئذ بلداً متعدد الأعراق يقارب تعداد سكانها مليونين ونصف نسمة من الطاجقيين والتـرك والعرب ، في حين استقر الهندوس واليهود في تجمعات سكنية . وتمسك آخرون بطرق معيشتهم البدوية القديمة كما فعلت عدة قبائل من الأوزبيك والكارلوس والبارلاس والكازاخ والشركس والتركمان على سبيل الذكر لا الحصر . ولقد تمتع غير المسلمين من اليهود والهندوس وغيرهم بممارسة شعائرهم الدينية كما تمتعوا بحرية وحق الملكية وإقامة الصفقات بين بعضهم البعض وفق قوانينهم ونظمهم الخاصة ، رغم تطبيق القانون الإسلامي عليهم في الجرائم وكل ما يتعلق بمعاملاتهم مع المسلمين . أما المواطنون الروس فقد استثنوا من ذلك ولم يخضعوا لسلطة بخارى القضائية .

ولقد تكونت الجالية الإسلامية من الفلاحين والبدو الرعاة وسكان المدن من الحرفيين والتجار والمسؤولين في الحكومة . وقد وقف علماء الدين على حدة مع جماعات الدراويش العديدة التي يرأسها شيوخ الدين .

كان لكل جماعة لباسها الذي رسخ عبر القرون . وكانت التصاميم متماثلة إلى حد ما لجميع البخاريين . غير أن الألوان والأقمشة عكست وضعًا اجتماعيًا معينًا . وارتدى الفلاحون العمائم القطنية الفاتحة الألوان والأثواب الشعبية الصوفية أو الكتانية والجزم العالية الخشنة المسطحة ، بينما ارتدى التجار والحرفيون العمائم البيضاء

الصغيرة والأثـواب القطنية أو نصف الحريرية والجزم العالية الناعمة المسطحة الجلدية والتي انتعل بها رجال الدين أيضًا ، الذين كان منظرهم مبهراً بعمائمهم المصنوعة من الموسلين والأثـواب الحريرية الرمادية الفاتحة المموجة . ولم تكن للدراويش الذين يعتاشون على الصدقات والذين نذروا أنفسهم لحياة الفقر ، بيوت ، وكانوا يعيشون في حلقات . وكان لكل جماعة لباسها الخاص مثل الجماعات الدينية المسيحية . وكان أعضاء أكبر هذه الجماعات مثل النقشبندي أو الخاججي ظاهرين يتميزون بغطاء رؤوسهم الفروي المخطط وأرديتهم الصوفية الطويلة المطرزة بالآيات القرآنية التي تختلف من جماعة لأخرى . وكانوا ينتعلون الجزمة الخشنة دون كعب ويربطون اليقطينة الجافة الكبيرة بحزام جلدي حول الوسط والتي تستعمل ككيس أو قربة ماء وجميعها تكمل هذا اللباس .

ولقد وجدت نقابات على شاكلة جماعات الدراويش للصناع الحرفيين الذين كانوا يتمتعون بتقدير كبير جداً في العالم الإسلامي ويحسبون على أنهم «مقربون من القدير» وفق مثل عربي ينسب إلى الرسول . وكانت للنقابات قوانين مكتوبة ومبادئ سلوك مفروضة على كل الأعضاء والمراسم . كما كان لها رؤساء مقدسون ـ أولياء ـ وكانـوا يـزودون الجماعـة بالملابـس والأحذيـة والأدوات المنزلية ، ويدركون مدى حاجة الجماعة لهم . وكان في بخارى رسميًا اثنتان وثلاثون نقابة ، مع أن الرقم الحقيقي كان أكبر من ذلك بكثير في نهاية القرن التاسع عشر ، ويرأس كلاً منها رئيس تطاع أوامره دون نقاش ، وأي تجاوز مهما صغر لهذه الأوامر وقوانين الجماعة كان يعني الطرد . هذا النظام الصارم أدى إلى تقوية روح الجماعة الذي عرفت به النقابات .

كانت طبقة الموظفين العمود الفقري للبلاد وجزءاً لا يتجزأ من بنيته التي لم تتغير

منذ العصور الوسطى . وكان الأمير يتمتع بسلطة مطلقة وهو أعلى سلطة يشتكي لها أفراد الرعية ضد القضاة المرتشين والموظفين القساة . ورغم تقلص قدرات الأمراء في السياسة الخارجية بعد سنة ١٨٦٨ ، فإن روسيا لم تتعد على صلاحيتهم في الداخل التي حدت منها الشريعة وآراء رجال الدين ولم يكن في بخارى من هو أغنى من الأمير ، فقد كانت أراضيه الشاسعة ، أكبر مافي البلاد ، توفر له دخلاً كبيراً لا يضاهيه إلا مرابحه من تجارة فرو الحملان الصغيرة ، بالإضافة إلى ذلك ، وحتى الإطاحة بآخر حاكم ، استعمل الأمراء خزينة الدولة كما لو أنها ملكهم الشخصي . وكان عبدالأحد ، الأمير في منتصف تسعينات القرن التاسع عشر ، يملك سبعة وعشرين مليون روبل ذهبي في حسابه في بنك روسيا ، وسبعة ملايين أخرى في عدة مصارف خاصة ، ومبالغ طائلة في مصارف ألمانية وسويسرية ومصارف أخرى في الخارج .

وقد اختلف نمط حياته عمن سبقه من الأمراء . ظهر في بطرسبيرج أول مرة عندما كان طفلاً حين كان والده مظفر الدين على قيد الحياة ، يوم قدم إلى الامبراطور الاسكندر الثاني . وكان عبدالواحد بعد اعتلائه العرش يزور العاصمة الروسية كل سنة حيث حاز على محبة العائلة المالكة ورجالات البلاط بهداياه الغربية وقضى عطلاته السنوية في قصوره الفخمة في أفضل منتجعات القوم والقوقاز . جلب له ولاؤه للعرش الروسي المنح الرفيعة العديدة مثل المنصب العسكري جنرال فارس ، وهو ثاني أعلى منصب في الجيش الروسي ، ومنصب البلاد مساعد جنرال .

ولقد تضمنت الحكومة المركزية وزيراً للشؤون الداخلية ، «كوش بيك» ، وقاضي القضاة وهو أعلى سلطة روحية ومسؤولا عن السلطة القضائية ، «قاضي قاليان» ، ومسؤولاً عن المالية وخزانة الدولة «ديوان بيك» . وكان هؤلاء الثلاثة أعلى الموظفين .

يتمتع الأول بالسلطة الإدارية والتنفيذية وحكم العاصمة ، حيث كان يجمع كل ليلة مفاتيح بوابات المدينة الإحدى عشرة ويحفظها تحت وسادته . وكان يشرف على الشبكة الإدارية ـ الهيكل الهائل المكون من سبع وعشرين منطقة يحكم كل منها «بيك» ، وسبع أخرى يحكم كل منها «أمليكدار» ، لكن كثيراً ما ينطوي الخير على سحابة سوداء ، فلم يكن يسمح للوزير سيء الطالع أن يغادر القصر في حال غياب الأمير أحيانًا ، وكان بالتالي يقضي شهوراً عديدة أو حتى السنين كسجين خدمة فعلي .

وتنقسم طبقة المسؤولين المحلية والمركزية في الحكومة العسكرية إلى ضباط الجيش وموظفين في الخدمة المدنية ومجندين والأملدار .

ويخلو كل تقييم حديث للجيش البخاري من الإطراء ويؤكد على انعدام المقدرة القتالية . وكانت الوظائف البوليسية هي كل ما يقدر على عمله .

وبإمكانك التعرف على الأملدار» بسهولة من ردائه الحريري أو نصف الحريري المطوق بنطاق مُذهَّب ، ترصعه ميداليات فضية ومزين بالذهب والمعادن المزخرفة حسب الرتبة . وهناك حزام آخر من الجلد يلبس تحت النطاق المذهب لحمل السيف وهو أيضًا علامة على المنزلة الرفيعة . ولم يكن الحذاء أقل إبهاراً فهو عبارة عن جزمة عالية بكعب مدبب لا يتجاوز سمكه عند الرأس رأس المسمار .

لم يكن للأملدارات ، المقسمين إلى خمسة عشر رتبة من أتاليك إلى بهادور ، رواتب معينة ، وهذا أمر طبيعي في دولة دون ميزانية . كان الجيش الجرار ، من الكتبة الصغار إلى البيك والحكام يمولون من قبل السكان الذين كان يصعب عليهم ذلك من

جراء الضرائب الفاحشة في النقود والسلع . وكان للمسؤولين حصة صغيرة من الضرائب والعائدات القضائية ، غير أنها لم تكن كافية لإشباع شهيتهم وكانوا يعوضون عنها ويشبعونها بالرشاوي الكبيرة والاختلاسات المكشوفة . ولم يدخر الأمراء جهداً لمقاومة الفساد . وكان العقاب الشديد ينتظر الأملدار المرتشي وتصادر كل ممتلكاته . لذا كان الدخل غير القانوني يخفى ، وكلما ازداد المال الذي حصل عليه بوسائل غير شرعية ، كلما كان بيته يبدو أكثر تواضعًا . وأفضل الطرق المتبعة لاستثمار سرقات الموظفين كان بشراء عقار باسم وهمي أو بتخزين الذهب والفضة .

ولقد سيطرت السلطة الدينية ، المتحدة البالغة التأثير المدعومة بالشريعة التي تطبقها دون تحريف وتتوقع نفس الشيء من سواء الناس ، على الحياة المدنية ، وأحكمت قبضتها على القانون والتعليم ؛ وكانت تشمل القضاة والمفتي والعلماء والمشرف على الأخلاق العامة والكيل والميزان في التجارة والمدرسين في المساجد والمدارس الثانوية الدينية والملأت والأئمة . ولقد قاوم رجال الدين الأقوياء وشديدو العزم السلطات المدنية في المسائل الصغيرة والكبيرة ، ولم يحجموا عن توبيخ حتى أكثر الأمراء غطرسة ، فقد أدت المشاحنة العاصفة مع علماء الدين سنة ١٨٩٧ في بخارى استياءً كبيراً حيال عبدالأحد العنيد ، قضى على إثرها آخر ثلاثة عشر عامًا من حكمه وحياته في ريف قرمين عديم الأهمية .

ولقد لقيت السلطة الدينية في العاصمة ، التي تكون الرأي العام بقوة في كل البلاد ، الدعم من أركان شباب الإسلام الأورثوذكسي المؤلف من آلاف الطلاب في المدارس الدينية التي تدرس المناهج القديمة . وكانت احتجاجات الطلاب تهدد بخارى كلما سُن قانون أو عين موظف ضد رغبتهم .

ويجّل الناس العلماء وشيوخ الدين وجماعات الدراويش لتقواهم وإحسانهم . وكان كل شخص يعلم أن العالم المحلي سوف يخرج من جعبته كل ما أوتي من حكمة ويعلمه إياها إذا ضاقت الدنيا أمامه يومًا ما . أما جماعة النقشبندي فلم تتعرض للمنافسة من حيث القوة والتأثير وكان شيخها بهاء الدين النقشبندي (المتوفي سنة ١٣٨٩) يبجل كرئيس بخارى الروحي وبقي ضريحه الذي يبعد عن المدينة اثني عشر كيلومتراً ، واحداً من أهم مقامات المسلمين إلى يومنا هذا .

وشغل «الأسياد» و«الحاجيون» مناصب اجتماعية رفيعة . فقد اعتبر الأولون أنهم ينحدرون مباشرة من سلالة فاطمة ، ابنة الرسول وزوجة علي ، واعتقد حتى أرفع نبلاء بخارى أن الزواج من عائلة «السيد» شرف كبير وسبق اللقب كل الألقاب الأخرى عند المانجيت الذين ادعوا أنهم من سلالة «السيد» مثل سيد أمير عبدالأحد بهادور خان .

واتخذت بعض العائلات لقب (أمير) حيث زعموا أنهم منحدرون من سلالة أبو بكر وعمر وعثمان ، أول ثلاثة خلفاء راشدين بعد الرسول . يسبق اسم العائلة هذا عادة الاسم الحقيقي الذي يتبع اشتقاقات من أسماء الخلفاء مثل عمري وعثماني أو صديقي على سبيل المثال ذرية أبو بكر الصديق . ويجب تمييز الاسم عن لقب حكام المقاطعات ممن يحملون نفس الاسم الذي يحمله غيرهم والذي يسبق اسم رتبتهم مثل حاكم في العربية أو بيك في التركية .

ولقد دعيت سلالة أسر الفاتحين العرب الأوائل وهي قوة اجتماعية متماسكة جداً ، التي شملت «الأسياد» ورجال الدين من مثل أهالي بخارى بالحاجيين . وكان هذا

المجتمع المزيج من كل الطبقات الاجتماعية ـ أملدارات وتجار وحرفيين وفلاحين ودراويش ـ موغلاً في طبقيته إلى درجة أن أفقر الحاجيين لم يكن ليزوج ابنته إطلاقًا لأي شخص من غير أبناء أسرته .

وكان لدى البخاريين رفيعي التهذيب ألقابٌ في غاية التأنق اللغوي ، مثل «مقر القوة» لقب وزير الداخلية ، و«مقر القانون» لقب القاضي ، و«مقر النبل» لقب الحاجي و«فضيلتكم» لقب التاجر والحرفي والفلاح .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، سيطرت الزراعة وتربية الماشية على اقتصاد المقاطعة . وتعرض وادي زرافشان ، قلب البلاد إلى التلف نتيجة للجفاف . وتفاقمت الأزمة أثر اندماج سمرقند في الإمبراطورية الروسية سنة ١٨٦٨م حيث أصبحت الآن مراكز النهر الهامة في تركستان الروسية مما تسبَّب في نشوء اختلاف حاد في توزيع المياه .

لم يقل احتياج المواطنين الروس الجدد في منطقة سمرقند لمياه الري عن أقربائهم في مقاطعة بخارى . ولقد دخلت الحكومتان في بطرسبيرج وبخارى في صراع عنيف خسره الأمير لصالح الإمبراطور القوي . ورغم الاتفاق الذي جرى سنة ١٩٠٢ ، ووفر لبخارى ثلث مياه زرافشان ، إلا أن الإمدادات تقلبت حتى سنة ١٩٢٠ ، وجعلت السكان الفقراء في وضع أسوأ من أي زمن آخر .

تعود مشكلة بخارى إلى امتلاك الأراضي من قبل الإقطاعيين كما في العصور الوسطى . فقد كان الأمير ، والدولة الممثلة في شخصه ، يسيطر على كل الأراضي . وككل الدول الإسلامية التي ظلت أنماط القرون الوسطى الاجتماعية قائمة فيها ، فقد

تجاهلت بخارى فكرة الملكية الخاصة التي لا تنتهك حرمتها ، لذا فقد توفرت الفرصة الضئيلة لسكانها في المدن والريف لتأسيس بنية رأسمالية . وعلى الرغم من الاختلافات الجغرافية فقد تشابهت الحياة الريفية والمدنية في بخارى .

كان الطين هو المادة الرئيسية في البناء . وكان يقتصد في استخدام الخشب في بناء الأعمدة والأجزاء الأخرى بسبب ارتفاع سعره في السوق المحلية . وقد اعتمدت العمارة على دخل صاحب الملك بحيث امتازت بيوت العائلات الثرية بارتفاع السقوف وطلاء جدرانها الخارجية باللون الأبيض والداخلية بالألوان الفاتحة . أما السقوف فكانت مصنوعة من قطع الخشب الرفيعة ، والتي كانت توضع بين الأعمدة بانتظام . ولم يكن في معظم البيوت مدفآت أو مواقد ، وهذا أمر طبيعي في أي بلد حار . وكان الورق المزيت يستخدم عوض الزجاج في النوافذ ، وعليه فقد كانت دائـما معتمة ، أما البيوت الأغنى فقد احتوت على باحات واسعة ومبان إضافية من طابقين . وكانت الوحدات السكنية قائمة في أقصى الساحة ، بينما تطل حوانيت التجار والحرفيين على الشارع ، ويصلها المرء من الرصيف ، وتصطف حظائر الحيوانات والمخازن على طول الشارع .

كان الفلاحون الفقراء الذين يشكلون أغلبية سكان الريف ، يقيمون في أكواخ طينية بالية ، ومع ذلك فقد كانت العائلة تلتزم بقوانين كرم الضيافة المقدسة حتى لو كانت تعيش على الرمق ، بحيث كانت تقدم للضيف آخر ملعقة شاي وآخر رغيف لديها . ولم يكن طلب أي غريب للمأوى في الطقس السيء يرفض أبداً . وكانت المساجد في هذا البلد الورع تحظى باحترام كبير . ويكون في المسجد عادة باحة صلاة واسعة وشرفة للعبادة في الصيف وساحة مربعة تصطف فيها الأشجار ويتوسطها

حوض . وقد وضعت ملاجيء الحجاج على طول جدران الساحة المركزية . وكان في معظم المساجد مدارس ابتدائية «كتّاب» تشمل مناهجها مبادئ الدين واللغة العربية كتابة وقراءة ، وتلاوة القرآن . ولم يكن بإمكان الكُتّاب تقديم معرفة عميقة للقرآن ، حيث أن ذلك يتطلب إتقانًا كبيراً في اللغة العربية ، لذا كان يُعلّم في المدارس الدينية المتمركزة في العاصمة .

كانت بخارى من بين أقدم مدن آسيا الوسطى ، حيث جاء ذكرها في سجلات التاريخ الصينية للقرن الخامس . ويبدو أن كلمة بخارى التي اشتقت من كلمة «فيهارا» السنسكريتية وتعني «دير» جاء ت من معبد بوذي وجد هناك . وعاشت المدينة وفية لاسمها كمركز للعبادة والتقوى بعد دخولها الإسلام سنة ٧٠٩م . حيث وجد فيها القاتحون العرب ثقافة وتجارة وحرفًا يدوية مزدهرة . وقد انتقلت بخارى إلى الواجهة الشرقية في القرنين التاسع والعاشر كعاصمة لإمبراطورية السامانيين القوية التي أخضعت مناطق شاسعة في آسيا الوسطى وفارس وأفغانستان لسيطرتها . ولم يقلل غزو جنكيز خان المدمر سنة ١٢٢٠ من أهميتها بين مدن آسيا الوسطى . وكان كل التقاة والمثقفين في الشرق يحترمون مدارس ومقامات بخارى .

قامت المدينة ، ولا تزال ، على رابية تصلها قناة الري شاه رود ، المتشعبة من شهر زرافشان من الشرق . ويبلغ معدل علو سور المدينة عشرة أمتار ونصف وطوله خمسة عشر كيلومتراً . أحيطت البوابات الخشبية الإحدى عشرة والتي يبلغ طول وعرض كل منها أربعة أمتار بالحديد ، وعلت جانبيها الأيمن والأيسر أبراج هائلة . وكانت البوابات تقفل في الليل بأقفال ضخمة وتؤخذ المفاتيح إلى القلعة لتحفظ حتى الصباح في عهدة الكوش بيك ، وزير الداخلية .

وقد تشعبت أغنى الشوارع من البوابات وإلى مركز المدينة ، وكانت ضيقة إلى درجة لا تتمكن فيها عربتان أو قافلتا جمال من أن تمرا معًا ، لذا كان على إحداهما العودة للخلف أو الانتظار في زقاق جانبي حتى تمر الأخرى .

وشيدت القلعة على تلة عالية لدرجة أن الطريق المنحدر الطويل العريض الذي يقود إليها غطى ساحة واسعة من الساحة الرئيسية المحاذية . وكان يحيط بالقلعة سور طيني كبير فيه بوابة ضيقة بين أبراج الآجر . ويستمر امتداد الطريق في الداخل بممر ملتو مسقوف يصعد حتى قمة التلة . وتشمل القلعة قصر الأمير وعدة بيوت إضافية ومسجداً ومَقَرّاً الكوش بيك ، ودار سك العملة والخزينة والمنشآت الأخرى الفخمة ، تجمعت كلها في هيكتارين .

سمعت ساحة المدينة الرئيسية قراءة أوامر الأمير ،وشهدت المسيرات العسكرية وتنفيذ أحكام الإعدام العلنية حيث كانت سكين الجلاد تقطع رقاب المحكومين بالإعدام . ويقع تحت الأرض قرب القلعة السجن المرعب .

ويبدأ الهرج والمرج كل يوم مع انبلاج الفجر وينتهي بعد الظهر ، وكان السوق الكبير يفتح في الخامسة صباحًا في الصيف مع افتتاح بوابات المدينة ويقفل في الخامسة بعد الظهر . وكانت البوابات تقفل عادة في السابعة حيث يجري منع التجول . كان أهالي بخارى يعتقدون أن الشرير وحده يخرج في الليل حين يكون كل المؤمنين في بيوتهم . ويستثنى فقط الأطباء والقابلات في الحالات الاضطرارية .

وكبقية مدن آسيا الوسطى كانت بخارى تقسم إلى «محلاّت» ذات حكم ذاتي ، تشمل كل منها مسجداً ومدرسة كُتّاب . ويجمع المحلّة التجارة المشتركة والدين

والخلفية العرقية .

وظلت بخارى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، بلداً يعود إلى القرون الوسطى ، محمياً من كل تجديد . ورغم ذلك فقد دخلتها الحداثة ببطء ولكن بثبات وذلك بفضل التأثير الروسي . وقد سعت السلطات الاستعمارية في تركستان لنشر الاستقرار السياسي في المحمية ولم تدخر جهداً لوقف الصراع الداخلي المرير الذي عرفت به بخارى . وكان الأمير قد ألغى الرق بأمر مشدد من الامبراطور في بطرسبيرج . وحيث أن الصناعة الروسية كانت بحاجة ماسة إلى قطن المقاطعة فقد ألحقت بخارى بالسوق الروسية .

لقد أحكمت روسيا سيطرتها على سياسة حكومة الأمير تدريجيًا ، وغدت وكالة الإمبراطورية السياسية التي تكونت سنة ١٨٨٥ في مركز القوة . وترأس الوكالة مبعوث سياسي روسي مطلق الصلاحية في البلاط ، وكان حلقة الوصل بين بخارى وكبار المسؤولين الروس في بطرسبيرج وطشقند . وأشرفت الوكالة على المستعمرات الروسية في المنطقة وحمت مصالح روسيا التجارية والصناعية ، وساعدت في البحوث التي قامت بها الحملات الروسية المتعددة .

وفي نهاية القرن توفر لبخارى مدخل دائم على الثقافة الروسية التي كانت بمثابة المتنفس للعدد القليل من التقدميين المحليين الذين تطلعوا لإحياء بخارى عبر تحديثها . وكان أحمد دونيش ، الكاتب والتربوي ، واحداً من أكثرهم بروزاً . وقد رأى هذا الرجل اللامع أن التعليم العام هو المفتاح الرئيسي لتقدم البلاد . وآمن بالمعرفة القوية كلها وحلم بالإصلاح الأساسي . وقد بدأ صدر الدين عيني ، وهو مصلح آخر وأديب

تاجيكي كلاسيكي ، أبحاثه في مدارس بخارى الدينية في ذلك الحين . واعتقد أناس مثل دونيش وعيني أن للعبودية الروسية ميزة إيجابية لأنها تفتح أبواب الثقافة الأوروبية أمام البلاد .

وقد عمل المهندسون الزراعيون وخبراء الري والمهندسون الآخرون هناك ، وتم افتتاح مستشفى حديث وعيادة لمراجعة المرضى في العاصمة سنة ١٨٩٤ .

ربما كانت هذه الأمور قليلة وصغيرة ، غير أنها قدمت لأهالي بخارى عالمًا جديداً غير معروف سيقوا إليه بدوامة القرن العشرين .

ديميتري يو ارابوف

عائلة أمير بخارى

الصورة ١: سيد مير مظفر الدين بهادور - خان أمير بخارى.
(حكم بين ١٨٦٠ و١٨٨٥).

هو الأمير الرابع من سلالة المانجيت ، وابن الأمير نصر الله ، ولد أوائل العشرينات من القرن التاسع عشر (١٨٢١ أو ١٨٢٤) وأمضى شبابه في كارشي . يقول الرحالة المجري ج . وامبيري «لقد أظهر نشاطًا ومقدرات فائقة في فترة مبكرة من حياته . مع ذلك ، كان منذ نعومة أظافره بمثابة شوكة في جسد والده الذي كان يخشاه دائمًا ويعتبره مطالبًا خطراً بالعرش . وحيث أن شبح المؤامرة كان يهدده دومًا من كارشي ، عين ابنه حاكم مقاطعة قرمين حتى يراقبه عن قرب ويبعد عنه ذلك الكابوس» . بقي مظفر في هذا المنصب من سن العشرين إلى التاسعة والثلاثين حتى وفاة والده ، «حيث كان يعيش في عزلة وحالة نسبية من الخزي» . ومن الغريب أن أمير المستقبل لم يقابل والده ، حيث أن نصرالله ، لم يزر قرمين إطلاقًا ولم يدع ابنه إلى بخارى .

جاء مظفر إلى العاصمة ليحضر جنازة والده ، عندما وصله خبر موته (مات نصرالله في بخارى في ٢٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠ بعد مرض دام سنة) . وبعد ذلك ببضعة أشهر رحل إلى سمرقند حيث رُفع على سجادة لباد ليعتلي الحجر الرمادي الشهير ، وهذا كان رمزاً لتتويجه ، وقدم حكام المقاطعات والبيكات والمسؤولون عهد الولاء هناك .

لقد جرت أحداث كثيرة في بخارى أبان حكم مظفر الدين . لذا قدم معاصروه عنه صورة مختلفة ومتناقضة ، فقد اعتبر المؤرخ ميرزا عبدالعظيم السامي مثلاً ، مظفر الدين «مثالاً للفضيلة واللطف» .



1 سيد مير مظفر الدين بهادور- خان أمير بخارى.(حكم بين ١٨٦٠ و١٨٨٥).
تصوير: هوردي - ليس بعد ١٨٨٥

وبينما كتب الكاتب الكلاسيكي التاجكي أحمد دونيش أن الأمير «كان غبيًا وعاديًا» «غير ذكي ومتعطشًا للدماء «فاسقًا وظالمًا ومتعطشًا للدماء» ، كتب مؤلف آخر أنه «غير اجتماعي ومتدين» .

أما الضابط الروسي ف . كريستوفسكي ، الذي قابل مظفر سنة ١٨٨٣ فقد قدم وصفًا معبراً عن الأمير في مذكراته إذ يقول : «على وجه الأمير ملامح جمال سابق . له لحية سوداء صغيرة وحواجب رفيعة وشارب صغير مهذب فوق شفته وعيون سوداء كبيرة تنظر بشزر ، وربما اعتاد على فتحها على سعتها أحيانًا عندما ينظر إلى شخص . وكان يبدو على وجه العموم وديعًا . كانت لحية الأمير مصبوغة على الطريقة الفارسية ومخططة باللون الأحمر وحتى الأرجواني في الشمس» .

كان المير سيد أحد خان ، ابن أخ الأمير ، الذي عاش في طشقند ، قد أبلغ كاتبًا روسيًا أن مظفر كان يقدر جمال النساء ، وعلاوة على الأربع زوجات الشرعيات ، كـان لديه حريم بلغ عددهن من (١٥٠) إلى (٢٠٠) امرأة . وكانت زوجته الأولى ابنة البيك دانيار أتاليك من شاخريسيابز ، لكنه لم يرزق منها بأي أطفال .

في سنة ١٨٨٣ منح مظفر الدين وسام سانت آن الروسي من الدرجة الأولى ، وهو مرصع بالماس ، ردًا على منح وسام بخارى النجم الصاعد للإمبراطور الكسندر الثالث . وكانت هيئة خاصة يرأسها اللواء الأمير فيتجينشتاين قد قلدته الوسام في بخارى .

وفي أغسطس ١٨٨٥ أصيب الأمير بحمى معدية مميتة في كارشي عندما كان يقوم بجولته السنوية في ملكه . واضطر إلى قطع رحلته والعودة إلى بخارى وقـد امضى



2 سيد عبدالأحد بهادور خان، أمير بخارى (حكم ١٨٨٥– ١٩١٠).

تصوير : هوردي – ليس بعد ١٨٨٧

قرابة الشهرين في مقره الريفي في شيربودون (انظر الصور ١٤٥ ـ ١٥٦) حيث تعافى تمامًا ، لكن في ٢٨ سبتمبر عاوده المرض فجأة دون توقُّع ، نقله إثر ذلك بعض رجال بلاطه المقربين الأمير أستاناكولبجي بيك ، ومحمدي بيك كوشبجي إلى القلعة في بخارى (الصور ١٠٢ ـ ١٠٣) حيث توفي قبل فجر ٣١ أكتوبر ١٨٨٥ بأربعين دقيقة .

دفن الأمير في ضريح عائلة مانجيت الذي حوفظ عليه إلى اليوم في مقبرة الإمام أمليا قرب بخارى .

الصور ٢ ـ ٤:سيد عبدالأحد بهادور خان، أمير بخارى (حكم ١٨٨٥ ـ ١٩١٠).

ولد الأمير عبدالأحد في ٢٦ مارس ١٨٥٩ (وفق مصادر أخرى سنة ١٨٥٧) في قرمين ـ وحسب شهادة معاصريه ، كانت أمه ، شامشات الجارية الفارسية ، في منتهى الذكاء وزوجة الأمير مظفر المفضلة . توفيت في قرمين سنة ١٨٧٩ حيث عاشت مع ابنها منذ تعيينه واليًا للمدينة . كانت لها ابنة أيضًا ، تدعى زاليخا زوَّجها الأمير مظفر إلى ابن أخيه أمان الله .

كان عبدالأحد البيك في قرمين من سن الرابعة عشرة (بعض المصادر تقول ثمانية عشرة) . قال رحال روسي زاره أنه عاش حياة بسيطة ، وفي سنة ١٨٨٢ كانت له زوجة واحدة فقط ، واحتفظ بالحريم ، أساسًا ، من أجل المظهر . كان في شبابه مغرمًا بركوب الخيل ، واعتبر أفضل فارس في البلاد ، وكان عمله المفضل ترويض الجياد والبيزرة وألعاب الفروسية . إلا أن مرضًا أصاب أمير المستقبل سنة ١٨٨٢ أدى إلى إصابة ساقه بدودة الغرغر فأجبر على ترك الرياضة .

عانى الأمير لسنوات عديدة من مرض الساق الذي كان يزداد سوءاً في الشتاء ، إلى أن تلقى مساعدة بعض الأطباء الروس سنة ١٨٩٢ . وكان الأمير متعلمًا ويتكلم الفارسية وبعض الروسية والعربية .

ولقد ذهب عبدالأحد سنة ١٨٨٢ إلى موسكو بأمر من والده ، حيث اعترف به رسميًا كولي عهد بخارى . وكان الإمبراطور الكسندر الثالث قد أبلغ الأمير مظفر بذلك . وقد رافق أمير المستقبل خلال رحلته إلى روسيا أستاناكولبجي بيك كولي كوشبجي ، وهو رجل من حاشية والده .

وعندما علم بوفاة والده في أكتوبر عام ١٨٨٥ ، غادر عبدالأحد قرمين متوجهًا إلى بخارى برفقة ألف فارس . ولقد توقف في طريقه في ماليك حيث قابل الفريق أنينكوف ، ممثل السلطة الروسية ، الذي أكد له تأييد روسيا في حالة حدوث تعقيدات سياسية قد تسببها مطالبة أبناء مظفر الآخرين بالعرش . وقبل دخوله بخارى ، عرج على مزار بهاء الدين وصلّى فيه وفي نفس اليوم شيع جنازة والده .

وفي الرابع من نوفمبر عام ١٨٨٥ تُوج الأمير في قلعة بخارى ، وكان ذلك بداية عهد طويل لأمير بخارى النبيلة قبل الأخير ، والذي شهد أحداثًا وتغييرات مهمة في حياة البلاد .

أمضى الأمير بعض سنوات حكمه الأولى في العاصمة . ومع ذلك كان يعيش نصف السنة في بخارى ويرحل إلى شاخريسيابز وكارشي في الشتاء ، ويمضي شهري يونيو ويوليو في قرمين ، وحين يعود إلى بخارى كان يسكن عادة في مقره الريفي شيربودون (الصور ١٤٥ ـ ١٥٦) .

ولقد استقر الأمير بعد خصامه مع رجال الدين في بخارى سنة ١٨٩٤ في قرمين ولم يرجع إلى بخارى أبداً .

أحب الأمير الترحال وزار روسيا أول مرة سنة ١٨٨٢ . وفي سنة ١٨٩٣ ، أخذ ابنه عالم خان إلى عاصمة الإمبراطورية الروسية ، وفي سنة ١٨٩٦ حضر تتويج الامبراطور نقولا الثاني . وزار بطرسبيرج قبل موته بقليل للاحتفال بالذكرى الخامسة والعشرين لتَولّيه مقاليد الحكم . كما زار أيضًا كييف وأدويسا ويكاتيرنيوسلاف وباكو وتيفلس وباتوم وسيفاستوبول وباخشيساري . كان يقضي كل صيف تقريبًا إما في مينيرالنين فودي في القوقاز أو يالطا في القرم حيث شيد قصراً ، (هو الآن مصحة أوزبكستان) .

ولقد أُلغي التعذيب في حكم الأمير عبدالأحد ومُنعت ممارسة أقسى العقوبات . كما حُظر أبشع أنواع الإعدام مثل رمي المحكومين من أعلى مئذنة كايلان في بخارى . راج في سنوات حكمه الإنتاج بشكل تجاري لمعادن النحاس والحديد والذهب في البلاد ، ومُدَّت خطوط التلجراف والسكك الحديدية وتطورت المعاملات التجارية بقوة . لعب الأمير دوراً فعالاً في تجارة فرو الخراف التي كانت الثالثة في السوق العالمية من حيث الإنتاج . كان في حساب الأمير الشخصي في بنك الدولة الروسي وفق بعض المصادر سبعة وعشرين مليون روبل ذهبي ، وسبعة ملايين أخرى محفوظة في بنوك روسيا التجارية الخاصة .

أولى عبدالأحد اهتمامًا عظيمًا إلى القوات المسلحة في البلاد . حتى في شبابه كوالي لقرمين ، درَّب شخصيًا قوات حاميته وحافظ على قلعة قرمين في شكل ممتاز ، كما كتب من زاره من الضباط الروس . أراد الأمير خلال إحدى هذه الزيارات أن يرى

تأسيس قوة حماية قوقازية ورافق السفير الروسي ليتعلم من التجربة الروسية . وفور عودته من رحلته إلى روسيا سنة ١٨٩٣ ، طلب الأمير تدريب الشرطة التركمانية من قبل الروس ، الذين لم يقلوا عن القوقاز بأي شكل . قاده ذلك لإعادة تنظيم جيش بخارى بعد سنتين . دفع الأمير الكثير لتدريب وتجهيز جيشه . فقد رفض مثلاً إطاعة قرارات الحكومة الروسية التي شددت على إمداد بخارى بالبنادق ، واشترى البنادق لجنوده من التجار الروس .

لقد أكد كلُّ الكتاب الروس على إحسان الأمير . فقد تبرع في سنة ١٨٩٢ ، بمائة ألف روبل لضحايا الكوارث في مناطق الإمبراطورية الروسية المختلفة . وفي سنة ١٩٠٤ ، خلال الحرب الروسية ـ اليابانية قدم مليون روبل للبحرية الروسية ، والمساعدة المالية إلى الفوج الخامس القوقازي الذي رعاه ، وقدم القطع الذهبية القديمة إلى مجموعة جماعة تركستان الأركيولوجية . وكان الأمير عضو شرف في الجمعية الخيرية التركستانية .

أولى الأمير اهتمامًا خاصًا بالشؤون الإسلامية . فقد جنت الأملاك التي نقلت إلى الأوقاف لصالح مساجد مكة والمدينة ربحًا سنويًا يقدر بـ ٢٠,٠٠٠ روبل . وفي أوائل تسعينات القرن التاسع عشر ، قدَّم عبدالأحد بضعة آلاف من الروبلات الذهبية لبناء خط الحجاز الحديدي (قدم كل من رجال حاشيته المقربين ١٥٠,٠٠٠ روبل لنفس الهدف) . زاد خلال حكمه عدد علماء الدين في بخارى من ٥٠٠ إلى ١,٥٠٠ الذين قدمت لهم المساعدات من دخل أملاك أوقاف خاصة .

أخيراً وليس آخراً ، لعب الأمير دوراً رئيسيًا في بناء مسجد في بطرسبيرج ، وهو أكبر مساجد أوروبا . وقدَّم عبدالأحد ، عندما حصل على إذن من حكومة القيصر

لبناء المسجد ، مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ روبل لشراء قطعة أرض ليقام عليها البناء ومبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبل لبنائه . كما فرض ضريبة على تجار بخارى لنفس الهدف بلغت ٢٠٠,٠٠٠ روبل .

اهتم عبدالأحد بالشعر بشكل جدي . كان خبيراً بالأدب المحض وجمع مجموعة من قصائده الشخصية تصف أحداث حياته ومشاعره ، خاصة أبان زياراته لروسيا . ووقع الأمير القصائد باسم مستعار «أودجيز» التي تعني الضعيف أو عديم الحيلة .

حمل الأمير رتبة البلاط الروسي ، مساعد جنرال ، وجنرال فارس في الجيش الروسي ، وانتخب أتامات ـ قوقازي ـ في قوات القوقاز وقائد الفيلق الخامس القوقازي ، ولقب «صاحب السمو» ، ومنح كل الأوسمة الروسية بما فيها وسام سانت أندرو ، ووسام العرش الإيطالي من الدرجة الأولى ، ووسام جوقة الشرف الفرنسي وأوسمة أخرى . ولقد تباينت آراء معاصريه في أعماله وشخصيته ، فدعاه معظم الكتاب الروس : «صديق مخلص لروسيا» ، «سياسي مفكر وحريص» . مع ذلك ظن البعض أن «اللطف الذي يصفه به الروس الذين لا يعرفونه جيداً لم يكن من طبيعته القاسية غير المتسامحة مع المعارضة والتجديد» . توفي الأمير في قرمين يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩١٠ ، ربما من عجز في الكلية . ويعتقد بعض المؤلفين أن ما قصَّر من أيامه هو الكآبة الناتجة عن الاشتباكات الدموية في بخارى سنة ١٩١٠ بين الشيعة والسنة .

كان لعبدالأحد أربعة أبناء . توفي اثنان منهما ، سيد مير حسين (المولود ١٨٨٣ أو ١٨٨٤) والأكبر ، سيد مير عبدالله ، اللذان أراد الأمير إرسالهما إلى بطرسبيرج للدراسة سنة ١٨٨٨ ، توفيا من الدفتيريا أو الملاريا سنة ١٨٨٩ .



3 الأمير عبدالأحد

تصوير: ف. ياسفوين - يناير ١٨٩٣ (القصر الشتوي - بطرسبيرج)



4 الأمير عبدالأحد مع ولي العهد سيد مير عالم تيورايادزخان

تصوير: ف. ياسفوين - يناير ١٨٩٣

ولد الابن الأصغر سيد مير إبراهيم سنة ١٩٠٣ ، والابن الآخر مير عالم خان أصبح آخر أمراء بخارى .

الصور ٤ ـ ٦ :سيد مير عالم خان، أمير بخارى من ١٩١٠ ـ ١٩٢٠.

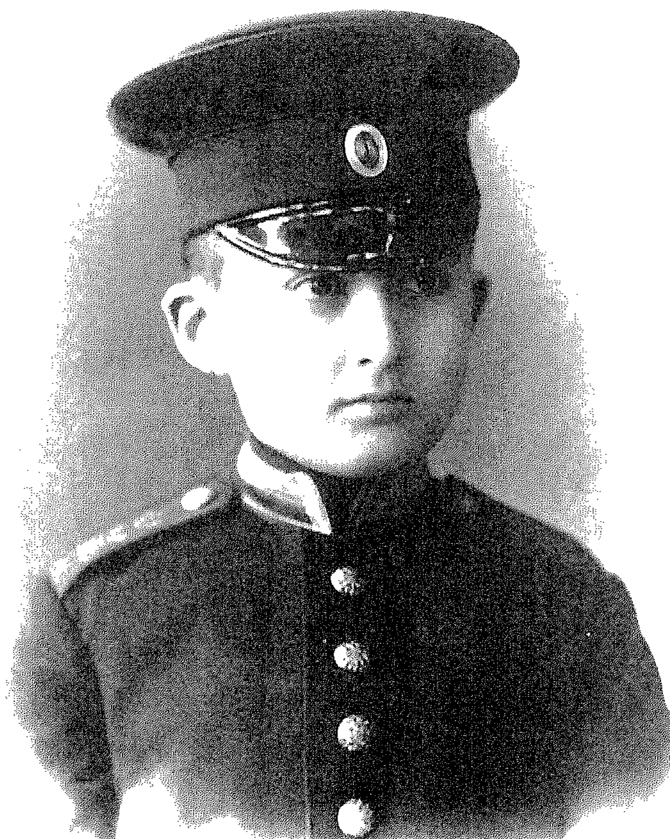
ولد مير عالم خان ، الابن الثاني للأمير عبدالأحد ، في ٣ يناير ١٨٨٠ (وفق بعض المصادر الأخرى ١٨٧٩) . وليس هناك من اثبات عملي يشير إلى سنوات طفولته .

في يناير ١٨٩٣ ، وصل مير عالم مع والده إلى بطرسبيرج ، حيث تم التوصل إلى تفاهم يمكن للأمير الصغير وفقه أن يأتي من بخارى إلى بطرسبيرج للدراسة في مدرسة الإمبراطور نقولا الحربية . ولقد قام الأمير بزيارة المدرسة وقابل المسؤولين وتحدث معهم حول مسألة تعليم مير عالم .

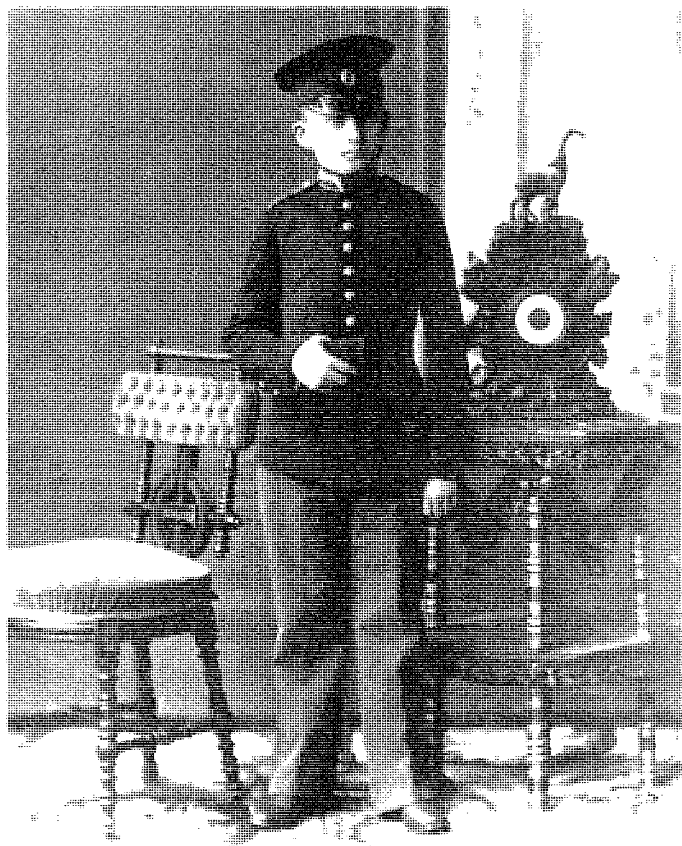
في نفس الوقت عين امبراطور روسيا الكسندر الثالث ، مير عالم رسمياً ولي عهد بخارى . وعند استلامه الوثيقة الضرورية من وزير الدفاع ، ذهب الأمير في جولة في البلاد تاركاً مير عالم في رعاية مرافقه عثمان بيك كارايولبجي والكولونيل دايومين ، الذي عين مدرساً خاصاً له من قبل الإمبراطور .

ولقد وعد الامبراطور الأمير أن يثقف مير عالم وفق مبادئ الإسلام .

وقد أعد الكسندر الثالث نفسه مناهج دراسة ولي العهد ، إلا أن الأمير قرر في وقت لاحق أن يأخذ ابنه دروساً مكثفة كي يتخرج بحلول صيف ١٨٩٦ ، وقصر دراسته على اللغة الروسية والمواضيع التقليدية . ولم يرغب عبدالأحد في أن يعرف ابنه أي شيء عن التطورات المعاصرة خاصة في الفلك والكهرباء . وعلى نقيض والده ، نظر معاصرو مير عالم إليه بازدراء . وكان وفق وصف بعض المؤلفين «عادياً غير ملهم» .



5 مير عالم، ولي عهد بخارى
تصوير: ف. ياسفوين - يناير ١٨٩٢



6 مير عالم في لباس كلية نقولاي العسكرية
تصوير: ف. ياسفوين - يناير ١٨٩٢

وادعى آخرون أن آخر أمراء سلالة المانجيت «كانت له عادات كريهة ورذائل إلى درجة وجب على عالم بالأمراض النفسية أن يكتب سيرة حياته» .

وفي الأول من سبتمبر سنة ١٩٢٠ ، أطيح بمير عالم إثر احتلال بخارى من قبل الجيش الأحمر . وقد فر الأمير في البدء إلى جبال بخارى حيث حاول تنظيم مقاومة ضد السلطة الجديدة ، ومن ثم إلى أفغانستان . ونظم ولمدة عشر سنوات المقاومة المسلحة في أراضي المقاطعة السابقة من أفغانستان حتى توفي في كابول.

الصور ٧ ـ ١٠: إخوة الأمير عبدالأحد

من المستحيل الآن معرفة عدد أبناء الأمير مظفر الدين والد عبدالأحد تمامًا . فهناك مايثبت وجود أحد عشر ابنًا ، لكن هناك بعض آخر من أبنائه لا نعرف عنهم شيئًا ، ماتوا في حياته .

كان ابن الأمير الأكبر ، سيد عبد مالك ميرزا كاتا ـ تاتوريا (١٨٤٨ ـ ١٩٠٩) من أم فارسية ، كاشا زوفرات ، وإحدى زوجاته الأربعة ، وتزوج ابنة الملك الأفغاني شير علي خان . كان في الستينات من القرن التاسع عشر بيك جوزار . وحاول سنة ١٨٦٨ ، وبعد هزيمة قوات الأمير قرب سمرقند في أكبر المعارك ضد روسيا ، السيطرة على عرش والده في بخارى ، ولكنه هزم هزيمة منكرة ، فر إثرها أولاً إلى كارشي حيث كان له العديد من المناصرين ، ومن ثم إلى خيفا في ديسمبر ١٨٦٨ . وأمضى بعض الوقت في حصن يانجي خسار في كاشجاريا (١٨٧٣) وكابول (١٨٨٠) وأخيرًا استقر في الهند سنة ١٨٨٢ ، حيث عاش على نفقة بريطانيا . اعتبر عبدالمالك مطالبًا حقيقيًا بعرش بخارى حتى تم تتويج الأمير عبدالأحد . توفي كاتا تيوريا في بشاور سنة ١٩٠٩ .



7 سيد مير صديق خان – بيك شاردزهوي

تصوير: هوردي – ليس بعد ١٨٨٥

كان الابن الثاني ، سيد نورالدين خان (١٨٥١ ـ ١٨٧٨) ، بيك كارشي مابين ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ ، ثم عين حاكم شاردجوي . ولقد أراد مظفر تعيين الولد الذكي الموهوب وليًا للعهد ، إلا أن المنية وافته قبل الأوان .

وخلف سيد مير عبدالمؤمن (١٨٥٢ ـ ١٨٩٣ أو ١٨٩٤) أخاه الأكبر نورالدين كبيك لكارشي سنة ١٨٦٩ ، وكان حاكمًا لمقاطعة خسار الشاسعة من ١٨٧١ ـ ١٨٨٦ . اشترك بعد تتويج الأمير عبدالأحد في مؤامرات ضده ، نقل إثرها إلى بيسون في يوليو ١٨٨٦ بأمر من الأمير ، وعاش هناك مع عائلته في حصن تحت إشراف الأمير . كان بيكاً بالاسم فقط . في الواقع حكمت الولاية من قبل موظفين عينهم الأمير ، وكان عبدالمؤمن في الحقيقة سجينًا لديه . وفي سنة ١٨٩١ أخبر أستاناكول بيك من حكومة بخارى المبعوث السياسي الروسي ليسار ، في إحدى المناسبات ، أن عبدالمؤمن فر إلى أفغانستان ، وفي مناسبة أخرى ، أنه أصيب بالجنون .

ووفق رواية ليسار ، فإن الأمير لم يكن يحب أخاه ، وقد نشر هذه الإشاعات للتخلص من عبدالمؤمن (قيل أيضًا إنه أراد إعدامه) . ولقد خشي الأمير أن يفر أخوه إلى روسيا حيث يصبح في منأى عن متناول يده .

وفي سنة ١٨٩١ ، استُدْعي عبدالمؤمن إلى بخارى حيث استقر في القلعة وبقي في الإقامة الجبرية حتى وفاته . لم يترك أبناء عبدالمؤمن القلعة حتى سنة ١٩٢٠ .

وكان سيد عبدالفتاح ميرزا (١٨٥٦ أو ١٨٥٧ ـ ١٨٦٩) الابن المفضل لدى الأمير مظفر . وفي سنة ١٨٦٩ أرسله الأمير إلى بطرسبيرج في بعثة شرف . كانت البعثة التي رأسها أخو زوجة الأمير أبو القاسم بيك ، والكاتب أحمد دونيش كسكرتير ، قد حملت الهدايا إلى الإمبراطور الروسي .



8 مير صديق خان عندما كان تحت الإقامة الجبرية في بخارى. - مصور مجهول



9 أخ الأمير عبدالأحد، سيد مير منصور مع مُدرِّسه ميرزا عبدالواصي - تصوير: هوردي - بين ١٨٨٥ - ١٨٨٩



10 أخ الأمير عبدالأحد، مير أكرم خان. بيك جوزار
تصوير: ل. س. بارششيفسكي - بين ١٨٩٠ - ١٨٩٥

وقد بقي عبد الفتاح في بطرسبيرج من أوائل شهر نوفمبر إلى العاشر من ديسمبر حيث استقبله الإمبراطور الكسندر الثاني .

أراد مظفر الدين أن يطلب مباركة الإمبراطور لاختيار عبدالفتاح كولي عهد لبخارى ، غير أن الأمير الشاب مات قبل الأوان أيضًا .

كان سيد مير عبدالصمد (المولود في أوائل ١٨٦٠ تاريخ وفاته غير معروف) الابن السادس لمظفر (بعد عبدالأحد) . وكان في ١٨٨٠ بيك جيراكجي . وضعه والده تحت إشراف قاض محلي لتعليمه التواضع في السلوك وعدم الإسراف . وصفه الضابط الروسي كريستوفسيكي ، الذي زاره سنة ١٨٨٢ ، بأنه «شاب نحيل في حوالي العشرين ، دون شارب ولا لحية ، ويشبه أخاه الأصغر سيد مير منصور كثيرًا» . كتب كريستوفسكي أن «الأمير لم يحبه لصراحته ولم يدعه أبدًا لزيارة جيراكجي ، حتى عندما قدم إلى شيخريسيابز . لم يحب الأمير عبدالأحد أخاه أيضًا . في ليلة ٤ سبتمبر ١٨٨٦ ، اعتقل مير عبدالصمد وأرسل إلى بخارى . عاش بعد ذلك في ضاحية خودجا غافور في بخارى تحت الإقامة الجبرية .

كان سيد محمد مير صديق خان (الصور ٧ ـ ٨) بيك كارشي من سنة ١٨٧١ . وبعد موت نور الدين سنة ١٨٧٨ عينه مظفر بيك جاردجوي . وفي سنة ١٨٨٥ ، وبعد تتويج عبدالأحد ، وقع مير صديق خان بالخزي مثل إخوة الأمير الآخرين . وأقيل من منصبه واستُدعي من جاردجوي . ولقد أخبر محمد شريف إيناك ، أحد أعيان بخارى ، المبعوث السياسي الروسي شاريكوف ، أن الأمير مظفر أراد استدعاءه بسبب حياته الفاسقة . وفي سنة ١٨٨٥ أعتقل ثم أُطلق سراحه وفي النهاية وأجبر على

الإقامة في القلعة حيث أمضى سنوات طويلة في الإقامة الجبرية . بعد ذلك عاش في ضاحية روجانجارون في بخارى ، وفي سنة ١٩٢٠ هاجر إلى أفغانستان .

كرس مير صديق خان حياته بعد تركه حلبة السياسة في الأعمال الأدبية . ورغم أنه كان شاعراً عاديًا ، إلا أنه كان خبيراً في الأدب وكاتبًا لعدة أعمال غير منجزة تمامًا . وهناك حوالي ٣٠ مخطوطة من أعماله في أرشيف معهد أوزبيك للدراسات الشرقية .

كان سيد مير أكرام خان (صورة ١٠) أخًا آخر لعبدالأحد ، والابن الوحيد لمظفر الذي لم يفقد منصبه بعد اعتلاء عبدالأحد العرش . عينه مظفر بيك لجوزار ، وحافظ على المنصب حتى سنة ١٩٠٨ . ودليلاً على محبة الأمير ، تزوجت إحدى بنات عبدالأحد ابن أخ مير أكرام خان .

وسيد مير منصور (المولود ١٨٦٣ والمتوفي مارس ١٩١٨ ، صورة ٩) هو الابن التاسع لمظفر . عاش في بطرسبيرج ودرس في فيلق الفرسان في النصف الثاني من سبعينيات القرن التاسع عشر . عاش مدرسه الخاص ميرزا عبد الواصي معه هناك . وكثيراً ما كان سكان بطرسبيرج يقابلون الأمير الشاب البخاري أثناء سيره مع مدرِّسه في حديقة قصر ميخائيلوفسكي .

ويوم انضم مير منصور إلى الفيلق ، منحه الإمبراطور الكسندر الثاني ساعة ذهبية عليها مونوغرام يرمز إلى الإمبراطور ، حفظها مير منصور حتى يوم مماته .

خصصت حكومة القيصر بأمر من الإمبراطور في ١٥ ديسمبر ١٨٧٦ مبلغ ٥٠٠ روبل في السنة لمصاريف مير منصور ومُدرِّسه ويعطى ميرزا عبد الواصي مبلغ ٣١٠ روبل شخصيًا ليدفع أجرة السكن والمصاريف الأخرى .

وفق شهادة مدرسيه ، كان مير منصور طالبًا قديرًا رفيع التهذيب . وفي الصف الثالث سمح له بترك دراسة الألمانية التي تعلمها بصعوبة ، وذلك حتى يكرس جهده لدراسة لغات أوروبية أخرى ولغته الأم والأدب الإسلامي .

أمضى مير منصور إجازته في صيف ١٨٨١ في القرم وأدويسا ، وفي سبتمبر ١٨٨٢ زار والده في بخارى وعاد في ديسمبر .

كان مُدرِّسه الخاص في سنوات دراسته الأخيرة في فيلق الفرسان ميرزا نصرالله بيك الذي كان يتكلم الروسية بطلاقة ، حسب شهادة معاصريه .

عند تخرجه في ١٣ أبريل ١٨٨٦ ، عين مير منصور في فيلق التنين الثالث في موسكو . وكان يتلقى علاوة على مرتبه كضابط مبلغ ٢٤٠٠ روبل في السنة من الأمير عبدالأحد .

وفي سنة ١٨٩٢ أصبح مير منصور ملازمًا أولاً . وفي ديسمبر ١٨٩٢ أقام نزهة مع ضباط الفيلق على شرف الأمير عبدالأحد الذي كان في زيارة عابرة لموسكو .

في ١٨٩٥ ، أصبح مير منصور كابتن فرسان ثانيا . وترك الفيلق سنة ١٨٩٩ عندما كان لايزال في نفس الرتبة . وقد دفعت حكومة القيصر دينه وخصصت له تقاعدًا مدى الحياة . عاش مير منصور في روسيا لعدة سنوات أخرى وتزوج من الأميرة صوفيا تسيريتيلي ، ورزق منها عدة أطفال . أصبح ابنهم الأكبر نقولاي تسيريتيلي (المولود سنة ١٨٩٠) الممثل الأول في مسرح تيروف في موسكو في سنوات ١٩٢٠ ، والشريك الرئيسي للممثلة المشهورة أليزا كونين . وفي سنة ١٩٠٦ ، زار مع والده جدته في بخارى .

كان الابن الثاني لمير منصور عسكريًا ، خدم في الجيش الروسي ومنح عدة أوسمة روسية . قتل في مارس ١٩١٨ خلال عاصفة قرمين . وكان لمير منصور ابنة أيضًا وابنان أصغرهما جريجوري وفاليري وابنة صغرى تمارى .

وعند عودته إلى بخارى ، عُـيِّن مير منصور بيكَ قرمين . وفي مارس ١٩١٨ وخلال ما يسمى بأحداث كوليسوف عندما هزم جيش طشقند الاشتراكي وحدة البيك المؤلفة من خمسة آلاف مقاتل واحتلوا قرمين ، جرح مير منصور جرحًا بليغًا وأخذ أسيراً مع زوجته وأولاده الصغار الثلاثة ومدرسهم .

دفن مير منصور في كاتا ـ كورجان بمساعدة الأمير مير عالم خان .

وقد سرقت أملاك عائلته ، من الأسلحة الثمينة ومجوهرات العائلة وحتى نسخة من كتاب ماركس «رأس المال» ملك مدرس الأطفال . وفي سبتمبر ١٩١٨ ، تلقت صوفيا تسيريتيلي ، أرملة مير منصور ، تعويضًا قدره ٢٠٠,٠٠٠ روبل من حكومة بخارى لتربية أطفالها الصغار الثلاثة ومبلغ ١٠٠,٠٠٠ روبل أخرى لتشتري أملاكًا جديدة .

ولا يعرف إلا القليل عن آخر أخوين لعبدالواحد . الأول سيد مير عظيم خان ، عاش في قلعة بخارى في أوائل القرن العشرين ولم يسمح له بالمغادرة . والثاني ، سيد مير ناصر خان (المولود في حوالي ١٨٦٩) الذي وضع أيضًا في الإقامة الجبرية في القلعة . وقد زوج الأمير عالم خان ، ابنته لابن مير ناصر خان ، عرب خان . ولم يسمح لأي منهم بمغادرة القلعة .

وعاش ناصر خان في القلعة حتى ١٩٢٠ . وفي أيام جمهورية بخارى الشعبية ،

كان عضواً في جمعية بخارى التاريخية ، وهو مؤلف كتاب «تاريخ مباني بخارى»
سنة ١٩٢١ .رحل ناصر خان إلى أفغانستان سنة ١٩٩٢ .



11 عم الأمير عبدالأحد، توجابيك خان

تصوير: ل. س. بارششيفسكي

بين ١٨٩٠ – ١٨٩٥

المسؤولون في بخارى

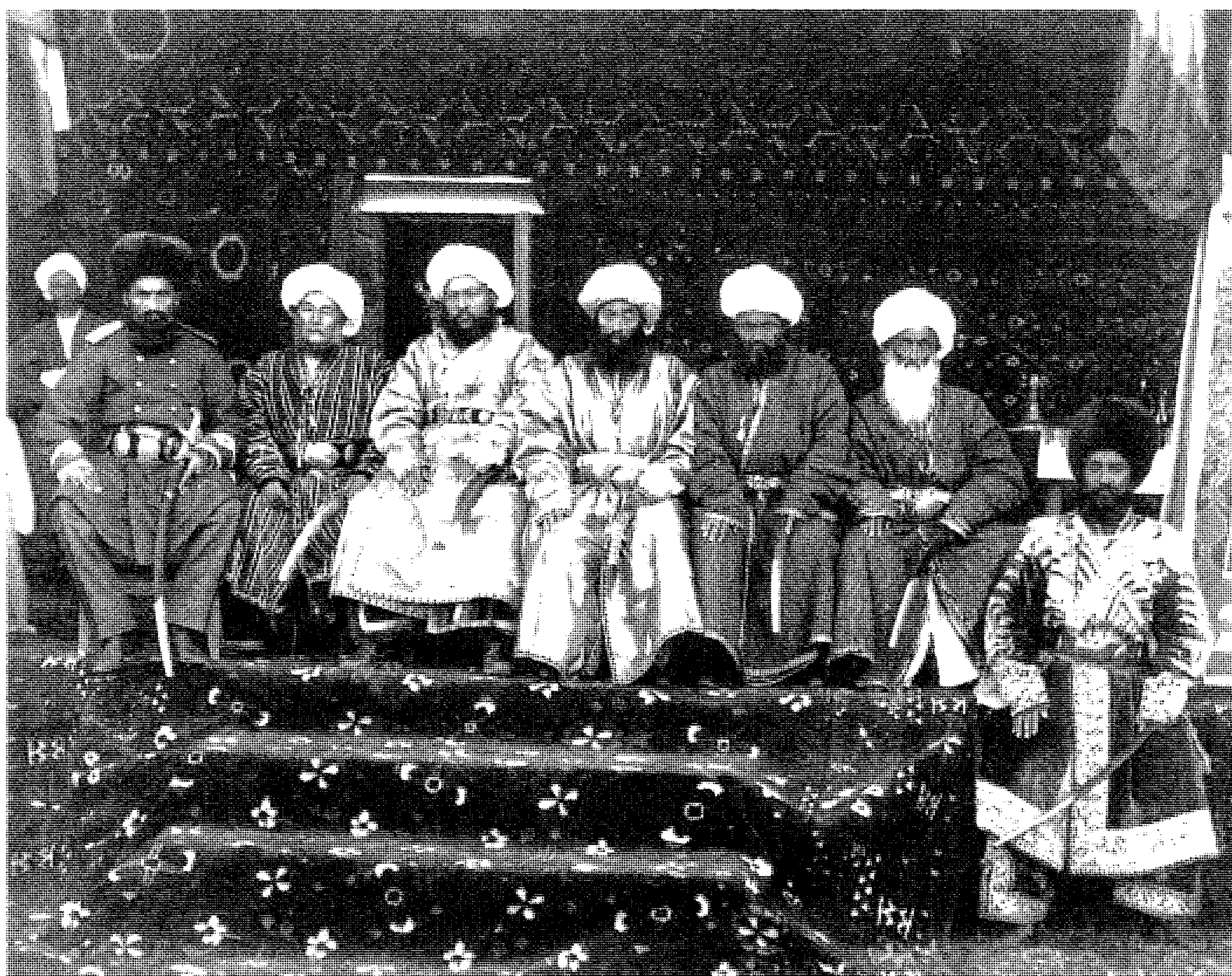
الصورة ١٢:

كان محمد شريف أناك (١٨٣٧ ـ ١٨٨٨ على وجه التقريب) أحد وجهاء بخارى الكبار . وقد شغل منصب وزير المالية وحاكم بخارى تحت إمرة الأمير مظفر ، وهو ابن أحد أكثر المسؤولين المقربين من مظفر ، الملا محمدي بيك ، عبد سابق عند الأمير . والملا محمد بيك (١٨١١ أو ١٨١٣ ـ ١٨٩٩) من أصل فارسي ، ترقى من عبد اشتراه الأمير نصرالله إلى رئيس إدارة بخارى ـ كوشباجي (رئيس وزراء) . بقي مع الأمير مظفر حتى مماته ، وحضر تتويج الأمير الجديد ، عبدالأحد . واحتفظ محمدي بيك بمنصبه كرئيس للوزراء في عهد عبدالأحد حتى مماته .

وبعد افتتاح وكالة الإمبراطورية الروسية السياسية في بخارى ، كان محمد شريف أناك ، الذي بقي وزيراً للمالية ، مسؤولاً عن الاتصال بين حكومة بخارى والمبعوث الروسي السياسي ، شاريكوف الذي أثنى عليه كثيراً .

وفي سنة ١٨٨٨ ، ذهب محمد شريف إلى المسؤول غايب نزار بأمر من الأمير لمصادرة أملاكه لجنحة ارتكبها ، لكنه قتل بإطلاق النار عليه من مسدس . وقد سُلّم القاتل ، وفق التقاليد القديمة إلى أقارب المغدور وخدمه وقتل بعد تعذيب طويل .

شغل أبناء محمد شريف ، أستاناكول بيك ، ومير حيدر كولبجي بيك ولطيف بيك ، مناصب المسؤولية تحت إمرة الأمير عبدالأحد . وفي سنة ١٨٨٨ ، عين حيدر كولبجي بيك واليًا لشاردجوي .



12 وجهاء بخارى الكبار. الرابع من اليمين هو محمد شريف أتاك

تصوير: هوردي

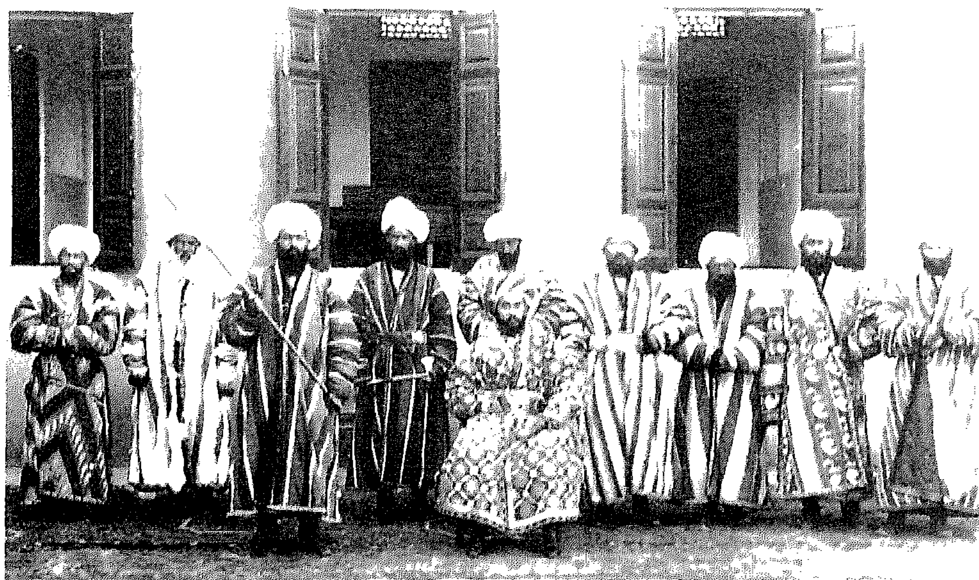
١٨٨٠ – ١٨٨٩

وحين غادر أخوه الأكبر أستاناكول بيك إلى روسيا مع الأمير سنة ١٨٩٣ ، عين نائبًا لوزير المالية . وفي سنة ١٩٠٢ ، زار بطرسبيرج مع الأمير وقد شغل حيدركول منصب الحاكم حتى ١٩٠٢ ، ثم أصبح أمينًا للخزانة . كان أخوه الأصغر لطيف بيك ينوب عنه كلما غاب عن بخارى .

الصور١٣ ـ ١٥ :

كان أستاناكول بيك ، حفيد رئيس الوزراء محمدي بيك وابن محمد شريف ، واحداً من أشهر المسؤولين في بخارى في عهد الأمير عبدالأحد . وفي سنة ١٨٨٢ ، كان أستاناكول حاكم كارشي . كتب في . كريستوفسكي الذي زاره في كارشي أنه كان يبدو في العشرين وكان «شابًا فتيًا ، ليس وسيمًا فحسب بل جذابًا ، بلحية صغيرة سوداء وبشرة داكنة معافاة وابتسامة واسعة وعيون بنية لطيفة» .

وفي ١٥ نوفمبر ١٨٨٥ ، عين أستاناكول بيك حاكمًا لشاردجوي من قبل الأمير الجديد ـ منصب قيادي في إدارة المقاطعة ـ حيث حل مكان أخ الأمير ، صديق خان ، الذي وقع في الخزي والعار . قال المؤرخ السامي ، بعد مقتل أبيه محمد شريف سنة ١٨٨٨ ، أن الأمير «أعطى ابنه أستاناكول المنصب والرتبة والوظيفة التي أراد وأكثر مما أراد» . أعطى أستاناكول رتبة أناك ومنصب وزير المالية الذي شغله والده من قبله . وقد ضمن مثل والده الاتـصال بين حكومة بخارى ووكالة السياسة الروسية ، ووقع الاتـفاقات والبروتوكولات الرسمية وفق تعليمات الأمير وقام بالمباحثات في المواضيع المختلفة . وفي وقت لاحق شغل منصب وزير المالية ومنصب رئيس الوزراء معًا ، وبقي فيهما حتى ١٩١٠ عندما عزله مير عالم خان ولي العهد . كان سبب عزله أن سمح لشيعة بخارى بالاحتفال العلني بعيد عاشوراء والذي أدى إلى عدة أيام من سفك الدماء بين السُّنة والشيعة ولم يوقفه إلا تدخل القوات الروسية .



13 أستاناكول بيك، حاكم شاردزهوي ومرافقوه أمام مقر سكنه.
مصور مجهول قبل ١٨٨٧



14 الأمير عبدالأحد، ولي العهد مير عالم ومرافقو الأمير، في القصر الشتوي في بطرسبيرج. الثالث من اليسار - واقفًا - أستاناكول بيك، والرابع من اليمين دور بن بيك كول كوشبجاي. في أقصى اليمين يقف أشفيندياروف. -
تصوير: ياسفوين - يناير ١٨٩٢

رافق أستاناكول بيك الأمير في زياراته إلى روسيا ، مثلاً في سنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٢ . ومنح العديد من الأوسمة البخارية والروسية .

وفي سنة ١٨٩٣ سافر الأمير إلى روسيا ليوصل ولي عهده المير عالم خان إلى المدرسة . وعيّن مجلسًا من ثلاثة أشخاص ـ قاضي القضاة ، حاكم القلعة وسيركيردا ـ للقيام بمهام عمله أثناء غيابه . بالإضافة إلى أستاناكول بيك ، ضمت حاشية الأمير عدة مسؤولين من ذوي الرتب العالية منهم دور بن بيك كوشبجي ، وهو فارسي اشتراه الأمير طفلاً وارتقى من رتبة عبد إلى أحد أقرب مستشاري الأمير . ووفق رواية كريستوفسكي ، كان في الخمسين (وفق بعض المصادر الأخرى ولد سنة ١٨٢٧) . وشغل منصب أناك ووظيفة عالية في البلاط ـ لم تكن له في عهد عبدالأحد وظيفة معينة ، ولكنه ساعد في تنظيم أمور الخزينة ورافق الأمير دائمًا في رحلاته . منح عدة أوسمة روسية .

كان في خدمة الأمير الكثير من الموظفين : مترجم شخصي من الحاكم العالم التركستاني ، وكابتن الفرسان أشفيندياروف الذي ترقى لاحقًا إلى كولونيل والذي كثيراً ما زار بخارى في مهمات دبلوماسية مختلفة ، وطبيب روسي .

وصل الأمير إلى موسكو قادمًا من شاروجوي بالقطار برفقة حاشيته في ٢٧ ديسمبر ١٨٩٢ ، حيث قابل أخاه مير منصور ، ونزل في قصر الشتاء أبان زيارته بطرسبيرج . وقام بصحبة أستاناكول بيك وأشفيند ياروف بالزيارات والذهاب إلى المسارح والحمام كل يوم ، وقابل الضيوف والامبراطور الكسندر الثالث . وبعد أن رتب أمور دراسة مير عالم خان ، تركه هناك وعاد إلى بخارى عن طريق أوديسا وتيفليس .



15 وجهاء بخارى الكبار. الثاني من اليمين في الصف الأول هو أستاناكول بيك.
مصور مجهول – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



16 مقر بيك شاردزهوي القضائي.
مصور مجهول – قبل ١٨٩٢

الصور ١٧ ـ ٢٤ :

لا نعلم لسوء الحظ ، متى التقطت هذه الصور لـ(بيگات) بخارى الذين حكموا ولايات مختلفة . وكثيراً ما كان الأمير يغيّـر من مناصبهم ، لذا من المستحيل معرفة صورهم الآن . وفي حوزتنا معلومات مفصلة فقط عن بيك خسار ، أستاناكولبجي بيك كولي كوشبجي (الصورة ٢٤) ، فقد كان واحداً من أعلى المسؤولين في بخارى تحت إمرة الأمير عبدالأحد . وهو ابن عباس بيك ، وزير الأمير نصرالله وأخو الأمير مظفر من جهة الأب . شغل مناصب رفيعة حتى حين كان والده على قيد الحياة وارتفع أكثر بعد مماته ، لذا وصفه بعض معاصريه «بملجأ الأمل» اللقب الذي يمنح للعائلة الحاكمة .

سنة ١٨٨٢ شغل أستاناكولبجي منصب بارفاناشي وحاكم شاخريسياب ، كتب ن . كريستوفسكي ، الذي زاره ، أنه كان «معتداً بالنفس ، بسيطًا طيبًا بطبيعته ، محببًا ، لكنه لا مبال بأي شيء سوى نفسه وقيصره الذي كرس نفسه له . وبإمكان المرء القول رأسًا أنه كان يعرف قيمته وليس ذكيًا فقط» .

في سنة ١٨٨٢ ، صاحب أستاناكولبجي بيك أمير المستقبل عبدالواحد في رحلة إلى موسكو . وفي سنة ١٨٨٥ ، زار بطرسبيرج كمبعوث شخصي فوق العادة للأمير مظفر وقابل الأمبراطور الكسندر الثالث . حين كان مظفر الدين مريضًا ، كانت له القوة الفعلية العظمى في بخارى مع الملا محمدي بيك .

بـعد نقل أخ الأمير الشائن عبدالمؤمن من خسار إلى بيسون سنة ١٨٨٦ ، عين أستاناكولبجي بيك حاكمًا لولاية خسار . حكم أيضًا دارفاز ، وكولياب وكاراتيجن .

في سنة ١٨٨٧ رقي إلى أعلى رتبة «تاليك» وعليه توسعت منطقته لتشمل خمس مناطق . ولم يكن أحد في عهود آخر أمراء بخارى ، يحمل هذا اللقب في بخارى سوى أستاناكولبجي بيك .

كان أستاناكولبجي بيك وفق رواية ف . ليبيسكي ، الذي زار خسار سنة ١٨٩٦ «أغنى وأبرز الرجال في بخارى . علاوة على الذهب والفضة (كانت الفضة مكدسة في الدور الأرضي من بيته) ، كان يملك قطيعًا من الخيول وقطعانًا من الخراف ، التي كانت ترى في الصيف في الأماكن البعيدة في الجبال ، حتى في الأراضي الروسية» .

بقي أستاناكولبجي بيك ، حاكم خسار حتى موته سنة ١٩٠٦ . دفن بعد موته في ضريح أمراء المانجيت ، مزار حضرة الإمام ، الكائن في مقربة الإمام أمليا في بخارى .



17 (من اليسار الى اليمين) بيك شاخريسيابز، الجنرال جوليمان حيدر خان، ل.س. بارشيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



18 بيك شيراباد

تصوير ل. س. بارششيفسكي

١٨٩٠-١٨٩٥



20 بيك كورجان طيب

تصوير: ل. س. بارششيفسكي

١٨٩٠-١٨٩٥



19 بيك كابايان

تصوير ل. س. بارششيفسكي

١٨٩٠-١٨٩٥



21 بيك بالدزهوان

تصوير: ل. س. بارششيفسكي

١٨٩٠-١٨٩٥



22 بيك دافاز مع بطانته

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



23 من اليسار إلى اليمين. ف. أي. ليبسكي، ميرزا يوداش توكسابا، بيك كورجان طيب، محمد مراد توكسابا، بيك كارتيجن، ل. س. بارششيفسكي – تصوير: بارششيفسكي ٢٢ اغسطس ١٨٩٦



24 استاناكولبجي بيك كولي كوشبجي، بيك خسار.
تصوير: بارششيفسكي – ١٨٩٠–١٨٩٥

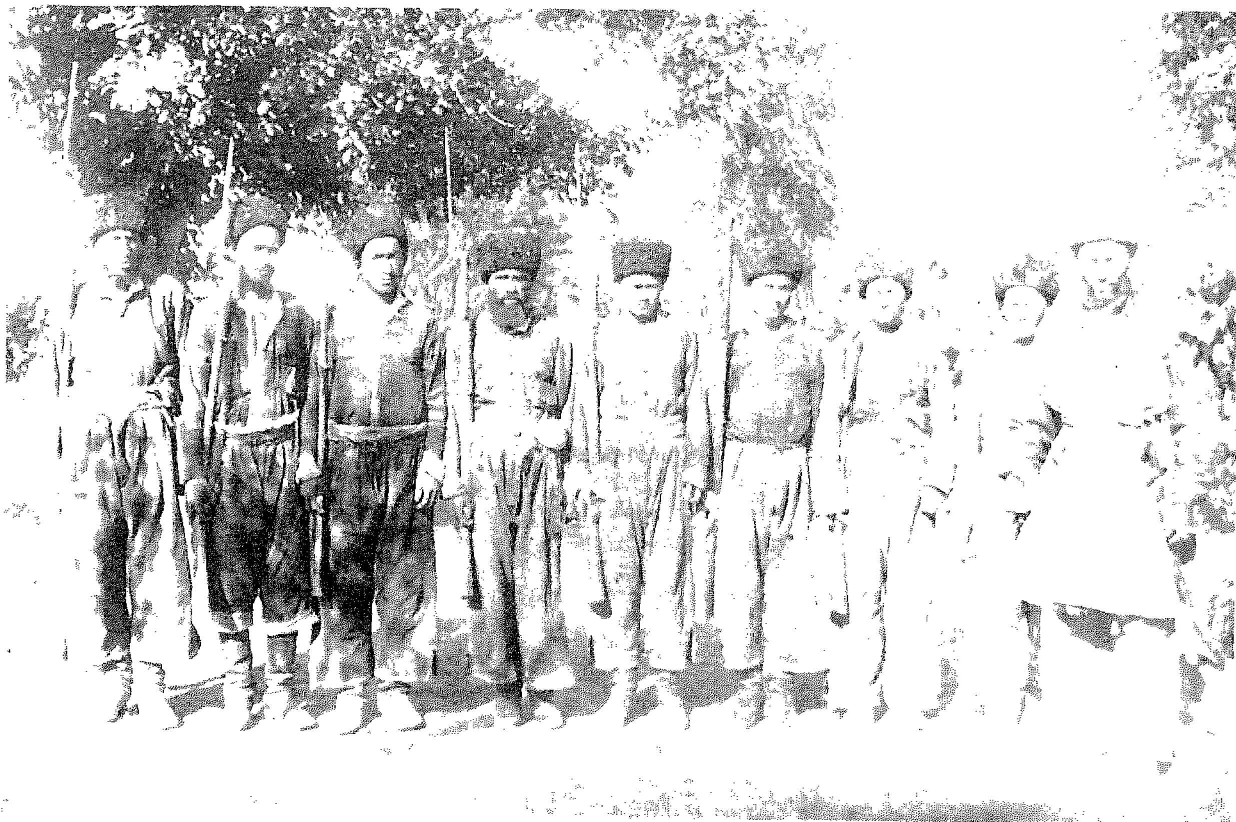
جيش بخارى

الصور ٢٥ ـ ٣٤ :

كان لدى أمراء بخارى جيش كبير قوي شمل الفرسان والمشاة والمدفعية . وكان في عهد الأمير مظفر وحدات نظامية وأخرى غير نظامية . وكان لحكام المناطق وحداتهم العسكرية الصغيرة الخاصة .

ويتراوح عمر الجنود مابين ١٥ ـ ٦٠ سنة . وكانوا يتلقون الرواتب من الحكومة لقاء خدماتهم وكذلك يكسبون من التجارة والزراعة .

في سنة ١٨٩٥ فرض الأمير عبدالأحد زيًا عسكريًا ، حيث اقتبس الكثير من تجربة الجيش الروسي . وكانت كل مناهج التدريب مشابهة للجيش الروسي (حتى الأوامر كانت تعطى بالروسية) ، وكذلك بالنسبة للباس العسكري الذي كثيراً ما كان يشبه اللباس الروسي أيضًا . ولقد قلل من عدد الجنود ، إلا أن كفاءته التدريبية والتسليحية تحسنت بشكل أكبر .



25 وحدات جيش بخارى النظامية.

مصور مجهول قبل ١٨٩٥



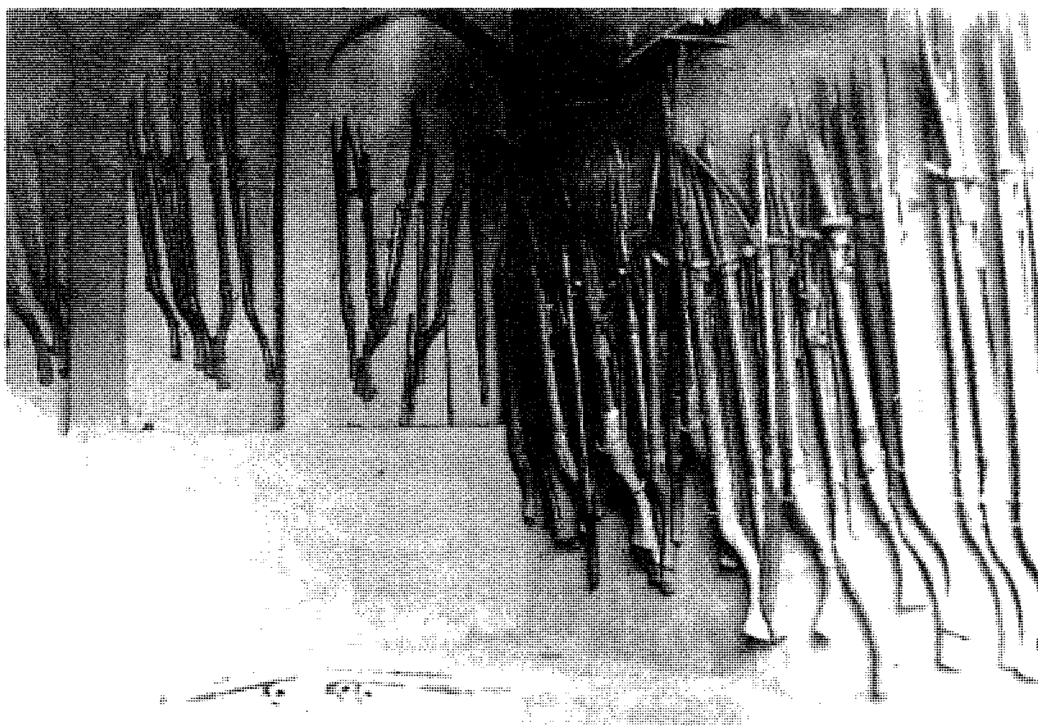
26 جيش بخارى

تصوير: يرماكوف - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



27 جيش بخارى في مسيرة

تصوير: يرماكوف – أوائل ١٨٩٠



28 مركز ذخيرة بخارى

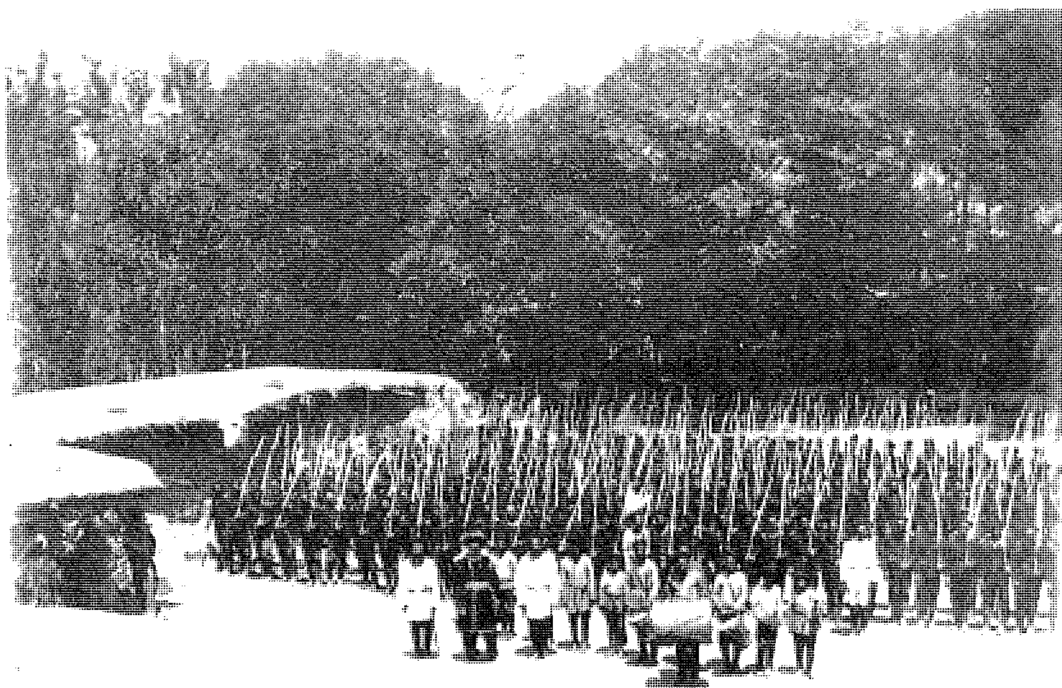
تصوير: بارششيفسكي – أوائل سنوات ١٨٩٠



29 توجابيك خان، عم الأمير وقائد كتيبة جيش بخارى مع قواد قواته
تصوير: بارششفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥

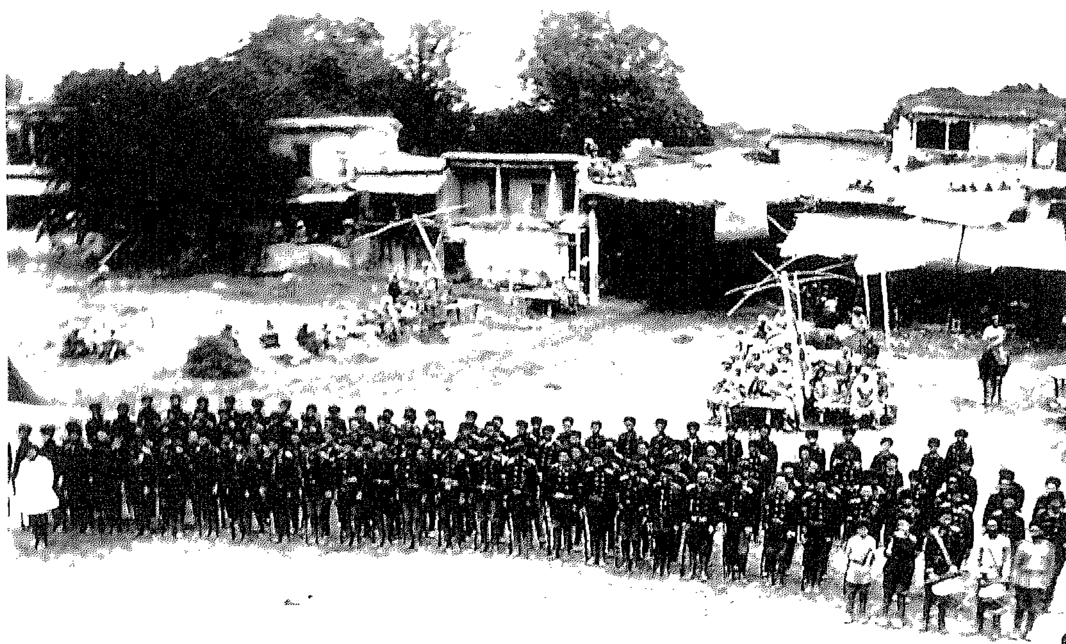


30 قائد كتيبة الجيش البخاري
تصوير: بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



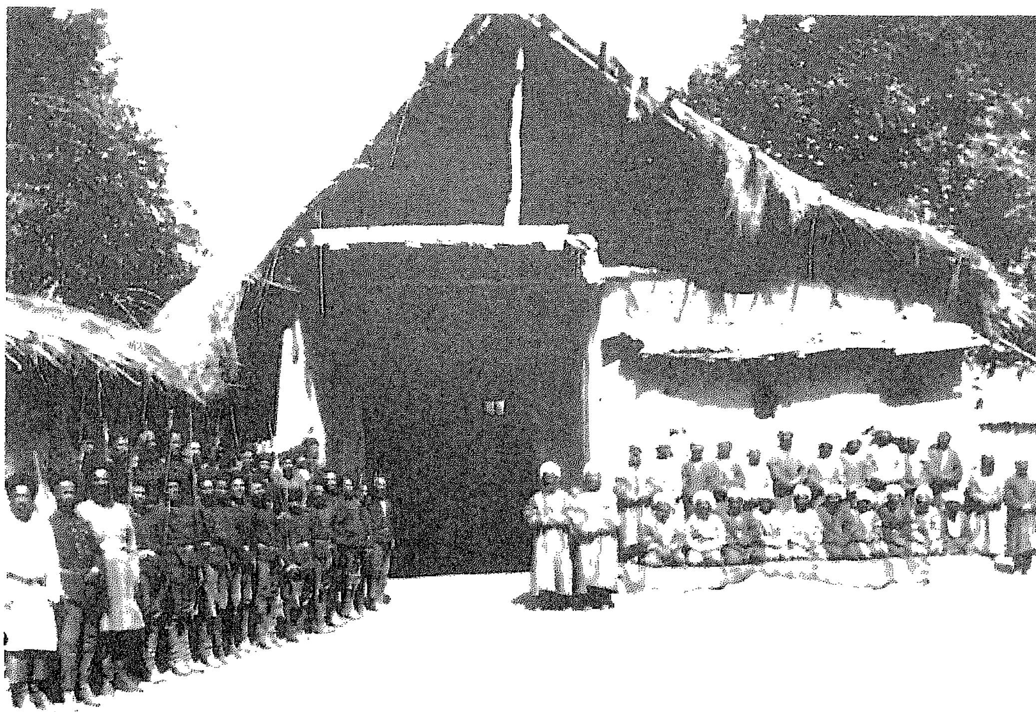
31 وحدة من الجيش البخاري

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠-١٨٩٥



32 وحدة من الجيش البخاري

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠-١٨٩٥



33 جنود بخارى

تصوير: بارششيفسكي- ١٨٩٠-١٨٩٥



34 جنود مدفعية بخارى

تصوير: بارششيفسكي- ١٨٩٠-١٨٩٥

سكان بخارى

الصور ٣٥ ـ ٧١ :

كانت مقاطعة بخارى مكونة من مزيج من الجماعات العرقية ، حيث كانت نسبة الأوزبيكيين تجاوز الخمسين بالمائة من السكان ، يعملون في الزراعة وتربية المواشي ويقطنون في وديان زرافشان ، ونهر كشخا ـ داريا ونهر سرخان ـ داريا . كان التجيكيون ، أكبر ثاني جماعة ، ويعيشون بشكل أساسي في المدن والمناطق الجبلية في شرقي بخارى . سكن التركمان على الضفة اليمنى من نهر أمو ـ داريا ، ومهنتهم الرئيسية تربية الماشية . وكان ماتبقى من السكان كازاخستانيين وفرسًا وعربًا ويهودًا وهنودًا وروسًا وأفغانًا وترتارًا وقوقازين .

كما كانت هناك جماعة كبيرة من اليهود في بخارى (الصور ٦٢ ـ ٧١) يعيشون في مبان عديدة كمجموعات كونت المستعمرة اليهودية (باقية إلى اليوم) حيث كانت لهم مدرستهم الخاصة والكنيس . وقد أطاع يهود بخارى قوانين خاصة ، على سبيل المثال ، لم يسمح لهم بارتداء العمامة والعباءة الفاتحة اللون والملابس الحريرية ولا ركوب الخيل .

كانت التجارة والحرف اليدوية العمل الأساسي ليهود بخارى . وعندما زار الأمير عبدالأحد موسكو سنة ١٨٩٣ ، قابله وفد من تجار بخارى منهم بعض اليهود .

أما الهنود ، الذين عاشوا في عدة مدن كبيرة في البلاد (الصور ٦٠ ـ ٦٥) فقد عملوا بشكل أساسي في التجارة والربا . وتاجروا في بيع الشاي والنيلة الزرقاء

المستوردة من الهند ، كما اشتركوا في صفقات بيع الجملة للحرير والقطن والأرز والقمح . استدان جنود الأمير المال من الهنود بفائدة عالية (كان الهنود يحفظون سجلاً لعملائهم بوضع إشارات على عصي خشبية خاصة) ، وقد عين الأمير موظفًا خاصًا لحفظ حساب بأرباح المرابين وفرض ضريبة عليهم . عاش الهنود في أنزال خاصة ، كان أكبرها يدعى «ساروي هندي» .

وسكن الأفغان أيضًا بخارى (الصور ٦٧ ـ ٧١) حيث تاجروا في السلع الهندية وصدروا البضائع الروسية بشكل رئيسي من البلاد . وخدم كثير من الأفغان في الجيش ، مثلاً ، خدمت وحدة مؤلفة من ٣٠٠ أفغاني الأمير مظفر ومع ذلك وقفت هذه الوحدة مع الروس أبان الحرب ضدهم سنة ١٨٦٨ .

وقد وجد كثير من كبار المسؤولين الأفغان المعارضين للسلطات الأفغانية الملجأ في بخارى . وعليه استقر ابن الأمير الأفغاني شير علي خان ، محمد إسحاق خان (الصور ٦٧ ـ ٦٨) نهائيًا في بخارى ، حيث تلقى دخلاً من الحكومة الروسية . وكان يطمح بالعرش الأفغاني (اعتبره الأفغان المقيمون في بخارى وروسيا الحاكم القانوني لأفغانستان) وفي سنة ١٩٠٤ أجرى محاولة غير ناجحة للسيطرة على مقاليد الحكم في أفغانستان .

شخصية أخرى بارزة بين المهاجرين الأفغان هي الجنرال جوليام حيدر خان (الصورة ٧١) الذي حكم شور ولاية (تركستان الأفغانية) وهرب إلى بخارى بعد تمرد حامية حصن تختابول سنة ١٨٨٠ ، وفي سنوات ١٨٩٠ قاد كتيبة الجيش البخاري .

وثمة جماعة عرقية أخرى أصيلة هي الجالشا (الصورة ٤٤) التي قطنت في الجبال

شمال خسار . قال رحّال روسي : «الجالشا من المسلمين السنة . دعاهم الرحالة الروس فارسيين شرقيين لأنهم كانوا يتكلمون الفارسية ولا يعرفون أي لغة غيرها . اختلفوا كثيراً عن التاجكين في المظهر . كانت بشرتهم داكنة أكثر من عرب بخارى ويعيشون في أكواخ فقيرة مبنية في الوديان بين الجبال ويعملون في الفلاحة ويربون الثيران وقليلاً من الخيول» .



35 عائلة من بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



36 امراة من بخارى مع أطفال

تصوير: ا. أنجيل. - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



37 فتيات من بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



38 سکان شیراباد

تصویر: بارششیفسکي - ۱۸۹۰- ۱۸۹۹



39 سكان كورجان. طيب

تصوير: بارششيفسكي – سنوات ١٨٩٠



40 اهالي بالدزهيان

تصوير: ل. س. بارششيفسكي- ۱۸۹۰- ۱۸۹۹



41 الاوزبيكيون من سكان بالدزهيان

تصوير: ل. س. بارششيفسكي– ١٨٩٠– ١٨٩٩



42 التاجيكيون من سكان بالدزهيان

تصوير: ل. س. بارششيفسكي– ١٨٩٠– ١٨٩٩



43 الأوزبيكيون

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



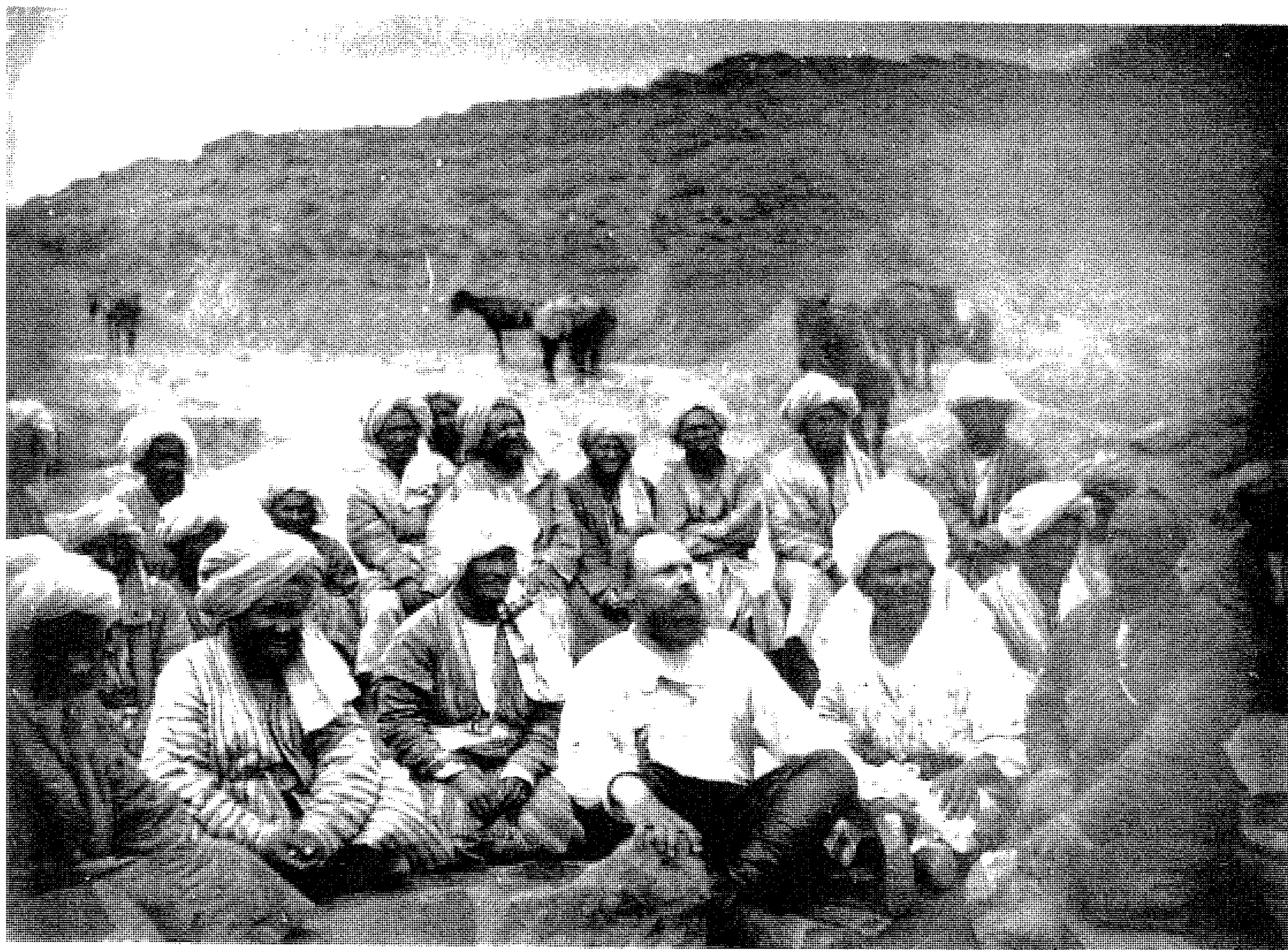
44 الجالشا

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠ - ١٨٩٩.



45 سكان بيسون

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ۱۸۹۰ – ۱۸۹۹



46 ل.س. بارششيفسكي بين أهالي دارفار

تصوير: ل.س. بارششيفسكي - ۱۸۹۰ - ۱۸۹۹



47 أحد سكان كازاخستان

مصور مجهول - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



48 قرب خيمة بدو كازاخستان،

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



49 راعٍ كازاخستاني

مصور مجهول - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



50 یهود بخاری

تصویر: ا. انجیل - ۱۸۸۰ - ۱۸۸۹



51 عائلة من يهود بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



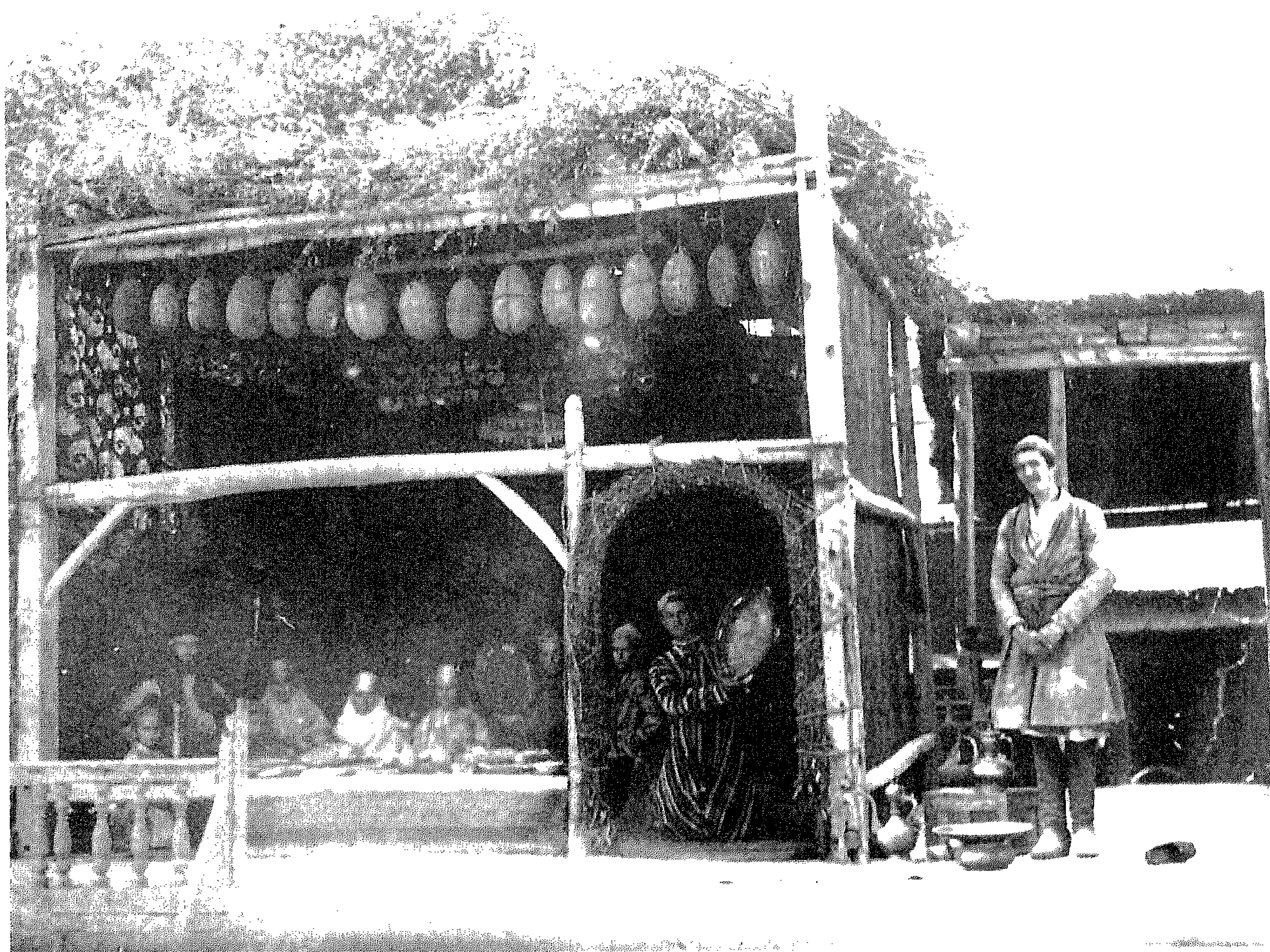
52 مدرسة يهودية في بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



53 یهود بخاری

مصور مجهول– ۱۸۹۰– ۱۸۹۹



54 عيد يهودي في بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



55 نساء يهوديات من بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



56 بخارى، الحارة اليهودية

تصوير: ا. أنجيل – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



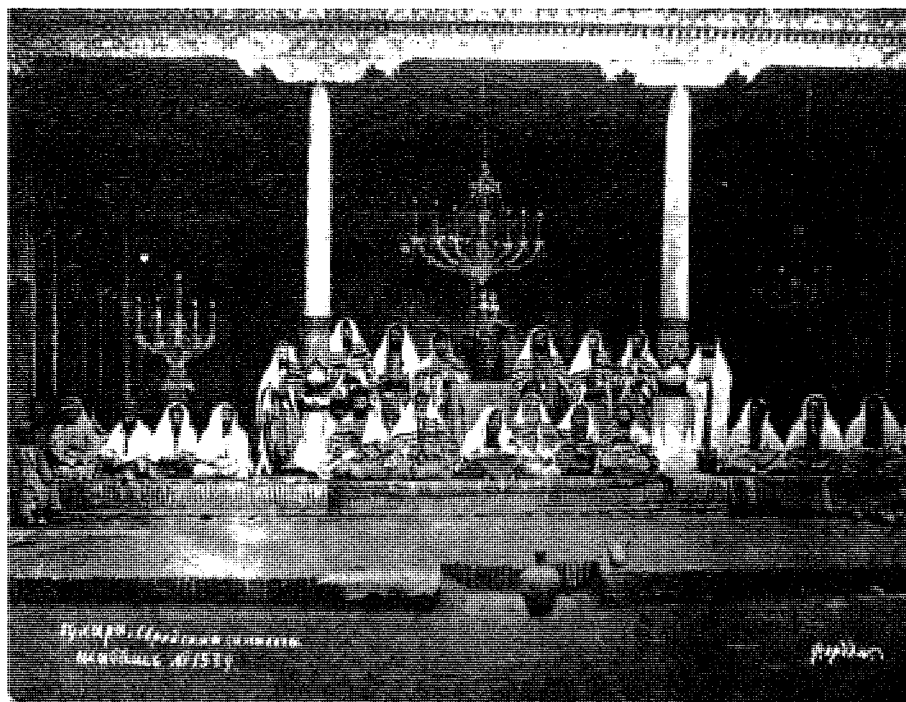
58 امرأة يهودية من بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



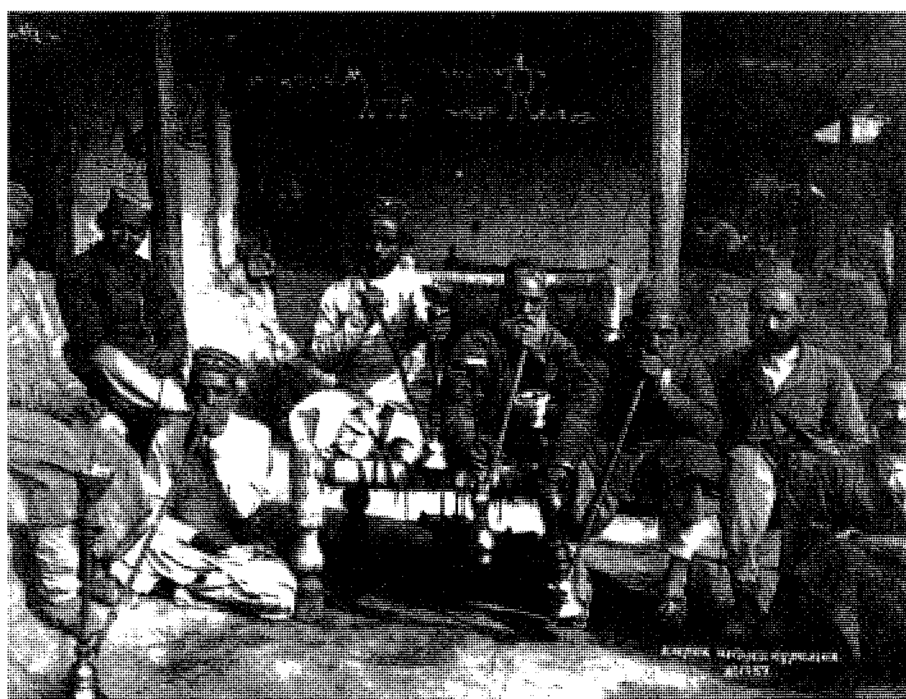
57 يهودي من بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



59 في كنيس بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



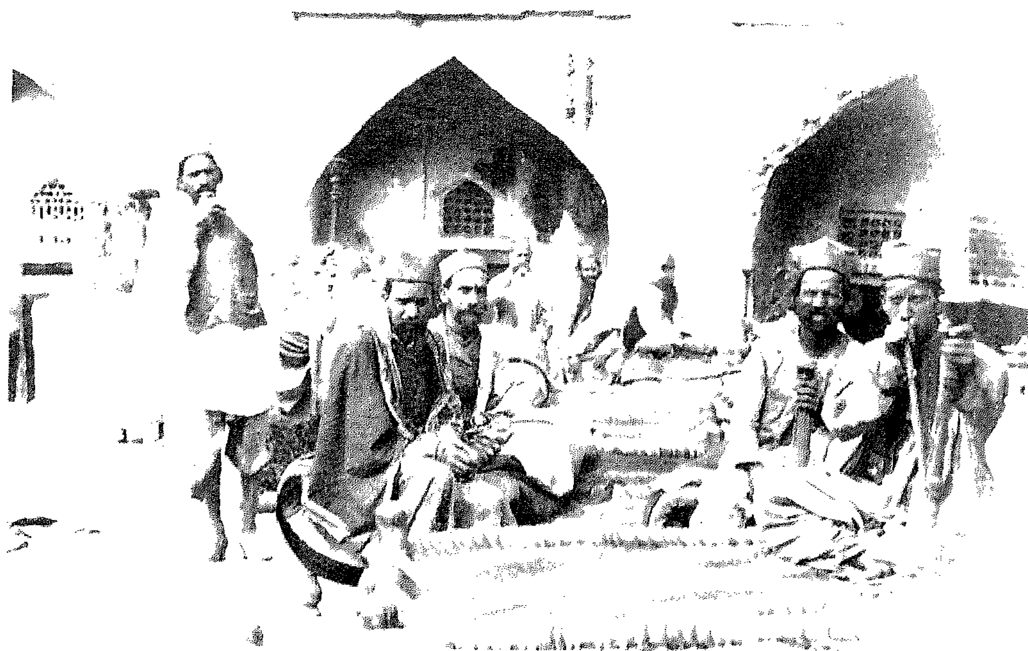
60 هنود في حجرة تدخين

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



61 موسيقيون هنود

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



62 نُزل للهنود

مصور مجهول - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



63 هنود

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



64 مراسم دفن هندي

تصوير: هوردي – ۱۸۸۰– ۱۸۸۹



65 هنود

تصویر: هوردي - ۱۸۸۰- ۱۸۸۹



66 روس في بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



67 أفغان في بخارى. محمد اسحق خان مع حاشيته

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



68 محمد اسحق خان، المطالب بعرش أفغانستان

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



69 منصور، ابن الأفغاني اسحق خان

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



70 ضابطان أفغانيان من حاشية اسحق خان

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



71 غلام حيدر خان. جنرال أفغاني

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥

مهن أهالي بخارى

الصور ٧٢ ـ ٨٦ : التجارة والحرف اليدوية.

منذ عهد قديم عرفت بخارى بالحرف اليدوية ، واعتبرت أسواقها الأكبر والأغنى في آسيا الوسطى .وقد باع تجار بخارى سلعهم على منصات في أسواق مسقوفة خاصة (الصورة ١١٩) أو في الساحات ، علاوة على النزل حيث كان التجار الكبار يعقدون الصفقات الكبيرة .

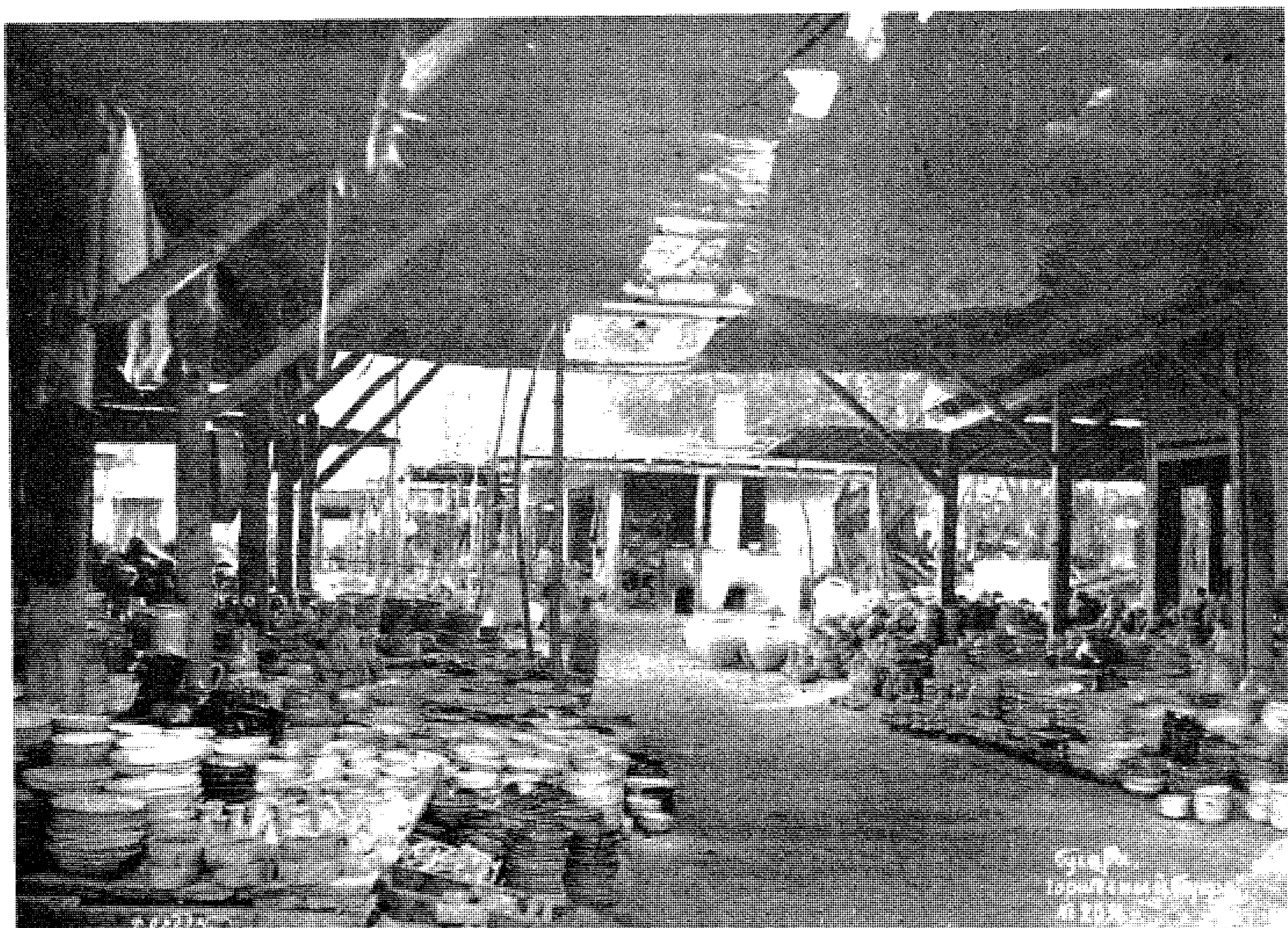
وكان يتوجب على المشترين الذهاب إلى سوق معين أو منصة محددة.كي يجدوا ما يودون شراءه بعضهم يبيع اللحوم والخبز والقشدة المغلية وآخرون العلف والحبال والأحذية . ولقد ذكر الرحَّالة الذين زاروا أسواق بخارى في أواخر القرن الماضي أنه بإمكان المرء فعلاً شراء كل ما يصنع في الشرق أو الغرب ؛ خاصة الملابس والأقمشة والبخور والعطور والأدوية والأواني والأطباق ومستلزمات البيوت وقطع النقود القديمة من كل أنحاء العالم والجوهرات .كانت منتجات الحرف اليدوية المحلية ، المشهورة ليس في بخارى فقط ، بل في ما وراء آسيا الوسطى ، تباع في أسواق بخارى أيضًا . مائة حرفة يدوية تقريبًا كانت تطور في بخارى . وكان عمال الحرف اليدوية يعملون في المعادن والحرير والقطن وجلد الحيوانات ، ويُصنّعون الثياب والمواد الغذائية والأدوات ومعدات المطبخ ويبنون البيوت .

وكانوا أيضًا يسبكون الحديد ويعملون الأدوات النحاسية ، ويصنعون الأحجار الكريمة والمجوهرات . كانوا أيضًا حدادين وصانعي أقفال وأبر حياكة وسماكرة .



72 باعة بخارى

تصوير: يرماكوف – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



73 سوق الفخار في بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



74 سوق مسقوف في بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



75 منصاب بيع في بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



76 دكان في بخارى، يبيع الأواني المعدنية والأطباق

مصور مجهول – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



77 باعة بخارى

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



78 حلاق في بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



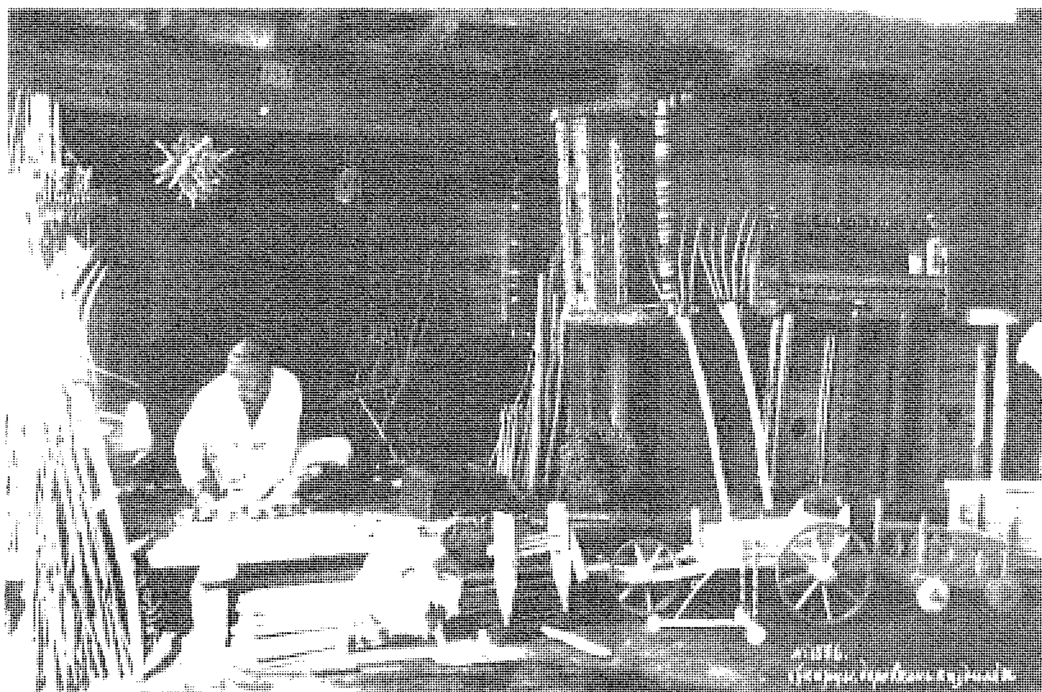
79 شاحذو السكاكين

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



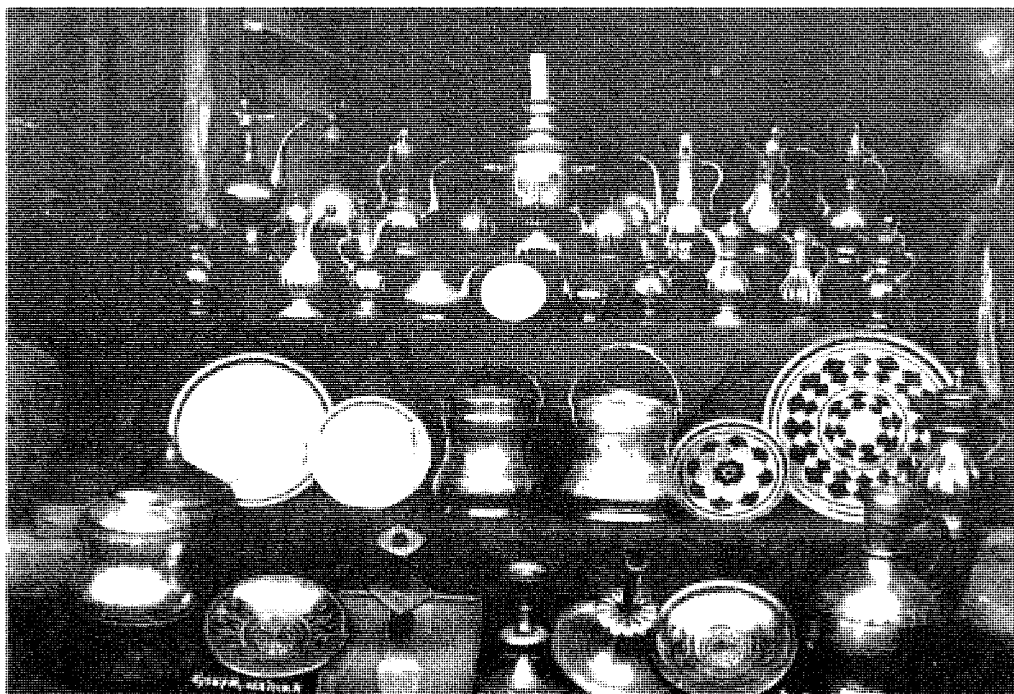
80 أدوات فضية من صنع حرفيين بخاريين

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



81 دكان يبيع الأدوات الخشبية

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



82 أدوات بخارى النحاسية

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



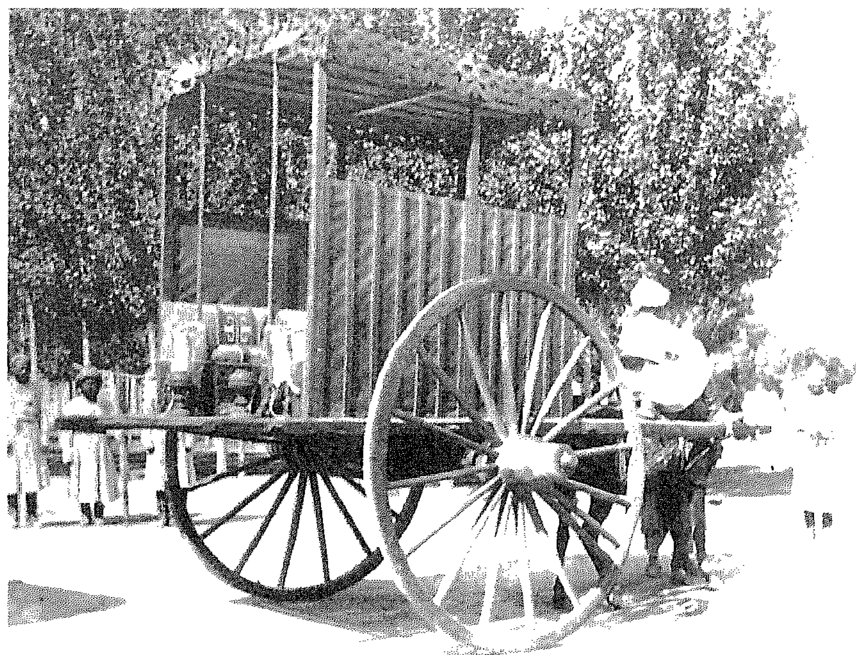
83 منتوجات الزق

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



84 غزل القطن

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



85 عربة أمير بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



86 عربة من بخارى

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩

الصورة ٨٧ : البحث عن الذهب في نهر أكسو

عمل جزء من سكان بخارى في إنتاج المعادن . فقد استخرج النحاس والحديد والكبريت والرصاص في بخارى . برز استخراج الذهب بشكل ظاهر . وقد بدأ التطور الصناعي للذهب في المقاطعة سنة ١٨٩٧ فقط ، رغم معرفة أهالي بخارى باستخراج الذهب بالأطباق من رمال الأنهار المحتوية على الذهب من أنهار بياندزه ، وأكسو ، وفهش لونج ، قبل سنة ١٨٩٧ بكثير . ولقد وصف رَحّال زار بخارى في أوائل القرن العشرين هذه المهمة بالآتي «كانت التطبيقات كلها والعملية نفسها أيضًا بدائية . وكان يوضع سياج بين أوراق الصفصاف على حجر منخفض داعم . وتسوى الأرض تحت السياج لتصنع شلالاً مسطح القعر مائلاً قليلاً ، ويزداد ميلانه عند خروج الشلال من بين الأوراق . وقد غطي السطح الواقع تحت الأوراق بجلد ناعم . وغُطّي الجزء الأكثر انحداراً بجلد الخراف . وكان يقام بعض القطوعات المتوازية لتصنع سطحًا خشنًا صلبًا . ثم يوضع الجلد بشكل يجعل تيار الماء المنحدر عبر الشلال يجري عكس حبيبات الرمل . بعد ذلك يوضع الصخر الحاوي على الذهب فوق السياج ، ويقوم العمال بصب الماء فوقه . بعد ذلك تغسل بعض قطع الصخور الصغيرة وتسقط على الجلد الناعم عبر ثقوب السياج ، ثم يجرفها تيار ماء مع الشلال وحبيبات الرمل الخفيفة ، في حين بقيت الحبيبات الكبيرة مع الذهب ملتصقة بسطح الجلد الخشن . أما الحصى الكبيرة فتبقى على السياج . وبعد غسيل شامل ، يوضع مكانها جزء جديد من الصخر الحاوي على الذهب . وبعد عمل يوم كامل ، يرفع الجلد بحذر ويوضع في كأس خشبي ضحل واسع حتى يغسل تمامًا كي يبقى كل الذهب اللاصق بسطحه في مكانه . وأخيراً ، كان يفصل الذهب بدقة وحذر عن الرمل والقاذورات في الكأس .



87 البحث عن الذهب بالطبق في نهر اكسو

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠-١٨٩٥



88 دراويش بخارى

تصوير: يرماكوف - ١٨٩٠- ١٨٩٩



89 درويش

مصور مجهول – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



90 دراويش في بالدزهيان

تصوير ل. بارششيفسكي – ١٨٩٠–١٨٩٥

الصورة ٩١ رقصة الباشاس

كانت رقصة الباشاس ـ راقصون محترفون من الغلمان يشبهون النساء ـ التسلية المفضلة لدى أهالي بخارى . كان الراقصون يطيلون شعورهم ويرتدون ملابس النساء ، ويدعون عادة للرقص في المناسبات العائلية مثل حفلات الزواج ، وأحيانًا يرقصون في ساحات مدن المقاطعة .

كتب رحَّال زار بخارى في أوائل القرن العشرين «حين يشرع في الرقص ، كان «الباشا» يقف على رؤوس أصابعه . ويمد ساقه اليسرى بشكل مستقيم ويقفز عليها بخفة وفق الموسيقى ، وساقه اليمنى مثنية عند الركبة ويلمس بها ساقه اليسرى بين حين وآخر ، وكوعاه مرفوعتان طوال الرقصة . وكان يضع راحتيه على وجهه وفق النغم الموسيقي ويرفعهما ، وفي بعض الأوقات يصفق «الباشا» بيديه عدة مرات ، إلا أنه يضمهما أكثر ، ويغطي بهما وجهه ويطقطق أصابعه بصوت مرتفع انسجامًا مع الموسيقى .» .

الصور ٩٢ ـ ٩٤ : المهرجون

أحب أهالي بخارى أداء المهرجين المحليين ، «مسخرة ابازي» .

كان عند الأمير مجموعته الخاصة من المهرجين الذين يؤدون العروض المجانية في أسواق المدينة في الأعياد . إليكم وصفًا معاصراً لأدائهم : «يتصنع أحد المهرجين وجهًا سخيفًا ويحاول الإمساك بالذباب وأكله ؛ في حين يقاتل الآخر عصًا ملفوفة في عباءة امرأة . وتتغلب عليه العصا فيتقبل الأمر راضخًا ويأخذ في ملاطفتها ولمسها والثناء

عليها لتعامله بالمثل . رغم ذلك تتغلب عليه العصا في النهاية . ثم إن المهرج ، الذي هزم مرتين ويصيح عاليًا ، يضرب نفسه على الخلف بالعصا الموجودة تحت ساقه حتى تبدو وكأنها تضرب من تلقاء نفسها . من ثم يقدم المهرجان عرضًا توحي فيه الأصوات والأفعال عما يريدان قوله ، ويقلدان فيه كلبين تعارفا على بعضهما البعض ، أو قط يعشق قطة ، أو قطين متنافسين ، أو صراع ديوك ، أو ضفادع تنق ، وحمار عنيد وراكبه . بعد ذلك يقلدان البشر . ولقد قدما عرضًا عن قروي ساذج يذهب إلى سوق المدينة ، أو ابن مدينة وضيع» .



91 غلمان راقصون من بخارى

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



92 المهرجون

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



93 المهرجون

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



94 المهرجون

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



95 سباق جياد

تصوير: ل. س. بارشيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥

الصورة ٩٦ : الصيد في بخارى

كان أهالي بخارى مغرمين بالصيد . اصطادوا الطرائد الصغيرة والغزلان والخنزير البري . وكانت البيزرة شائعة ، ولكنها اقتصرت على الأغنياء الذين يقدرون على تكاليفها ، حيث أن الصقور والشاهين المدربة على صيد الطيور السابحة كانت باهظة الثمن . وكانت الأرانب البرية والطيور تصاد بواسطة الكلاب . أما الغزلان فكانت تُصاد دون إطلاق النار . وكان على راكب المطية أن يصل إلى الغزال ويطعنه . ولقد اصطاد السكان المحليون الخنزير البري كرياضة بشكل أساسي (حيث أن لحم الخنزير محرّم في الإسلام) ولإطعام الكلاب .

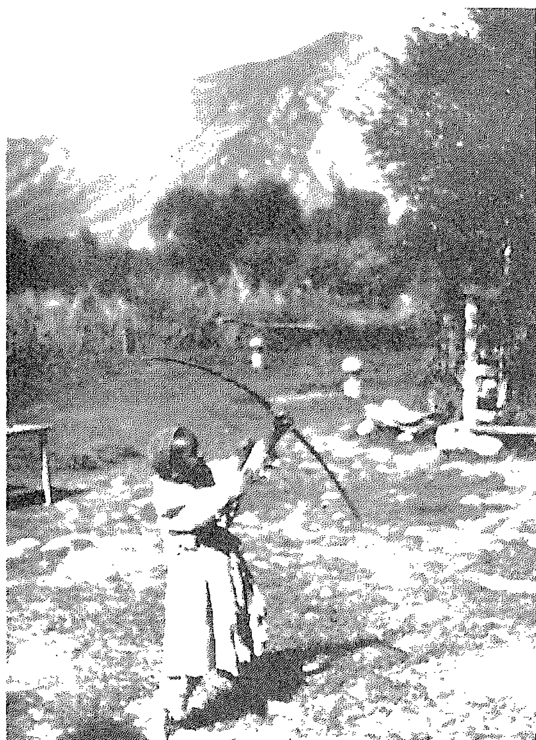
الصور ٩٩ـ١٠٠، ١١٥ـ١١٦ : سجن بخارى

كان رعايا الأمير يلقون في السجن المظلم لأقل ذنب أو لعدم طاعة الأمير . كان السجناء يقيدون بالأصفاد والأخشاب المثقوبة التي توضع فيها أرجل السجين ، والتي تكون مرفوعة عن الأرض بحيث تكون أرجل السجين مرفوعة في الهواء . وكان يقيد خمسة أو ستة سجناء بنفس السلسلة . وفي بعض الأحيان كانت توضع الأصفاد في عنق السجين .

أما السجناء الأكثر خطراً فكانوا يوضعون في زنزانة هي عبارة عن حفرة عميقة فيها كوة ضيقة في السقف والأرضية تغمرها المياه المليئة بالحشرات والبق . لا يزال سجن بخارى قائماً حتى اليوم .

الصورة ١٠١ : الإعدام في بخارى

كانت عقوبة القتل والسرقة في بخارى هي الإعدام . في عهد الأمير مظفر كثيراً ما كان المحكومون يعدمون بإلقائهم من أعلى مئذنة في بخارى ، ولكن كان ينفذ الإعدام في الساحة أمام القلعة . وكان الجلاد يقطع رأس المحكوم بسكين حاد ، وتُعلّق جثث المحكومين على المشانق وتبقى كذلك حتى يأتي أقاربهم ويأخذوها .



97 ضارب سهم شاب

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠– ١٨٩٥



96 ل. س. بارششيفسكي يصطاد الخنزير البري

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠– ١٨٩٥



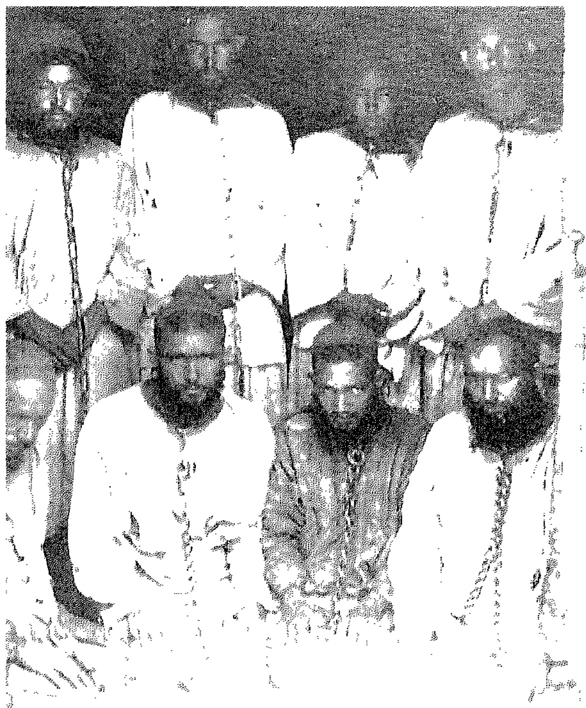
98 نزهة

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



99 في سجن بخارى

مصور مجهول - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



100 سجناء مكبَّلون بالحديد

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



101 إعدام في بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩

المعالم المعمارية في بخارى

الصورتان ١٠٢ ـ١٠٣ : قلعة بخارى

تقع القلعة ، كرملين بخارى ومقر أمرائها ، على تلة مرتفعة في الجزء الشمالي من المدينة . للقلعة تاريخ حافل طويل . يقال إن القلعة المهيبة كانت مقر حكام هذه الأرض المباركة قبل ١٥٠٠ سنة . وتسترسل الأسطورة في القول أنها شيدت من قبل سيافوشتش الشهير الذي يزعم أنه عاش في أوائل الألف الثانية قبل الميلاد .

دمر الغزاة الأجانب كرملين بخارى مراراً ، لكنها كانت تعمر من جديد كل مرة . ولقد أصاب القلعة الخراب الحقيقي أبان الأحداث الثورية في بخارى سنة ١٩٢٠ . وتشغل القلعة الآن متحف التاريخ والاثنوغرافيا .

ولقد دمرت المباني الواقعة في ساحة أكبر الأسواق المركزية أمام القلعة تدميراً كاملاً .

الصورة ١٠٤ : أسوار مدينة بخارى

شيدت أول الأسوار المحيطة ببخارى سنة ٨٣٠ ، ودمرتها سنة ١٢٢٠ قوات جنكيزخان ، وأعيد ترميمها سنة ١٢٣٤ ، وبقيت حتى الثمانينات من القرن التاسع عشر . ولم يبق منها إلا أجزاء صغيرة .

وكان في الأسوار إحدى عشرة بوابة و١٣١ برجًا . وكانت الأسوار نفسها من الطين ، بينما البوابات مصنوعة من الآجر المحمص في الفرن .

الصور١٠٦ ـ١٠٨ : مجمع بوا ـ كاليان المعماري

بوا ـ كاليان «الساحة العامة في بخارى» هي أبرز مجمع معماري في بخارى . تشمل على مسجد كاليان ومئذنة ومدرسة ميو ـ العرب الدينية . ولقد شيد مئذنة كاليان ، وهي الأعلى في بخارى ، حيث لا يقل ارتفاعها عن ٤٥ متراً ، بناء محلي يدعى باكو سنة ١١٢٧ . وشيد المسجد في القرن الخامس عشر ومدرسة مير ـ العرب في القرن السادس عشر .

كل هذه المعالم بقيت حتى يومنا هذا . اليوم ، كما في القرون السالفة ، يوجد في مير العرب مدرسة ، أعلى مدرسة دينية إسلامية .



102 قلعة بخارى

تصوير: ا. انجيل – ۱۸۹۰– ۱۸۹۹



103 بوابات قلعة بخارى

تصوير: أ.أنجيل – – ١٨٩٠– ١٨٩٩



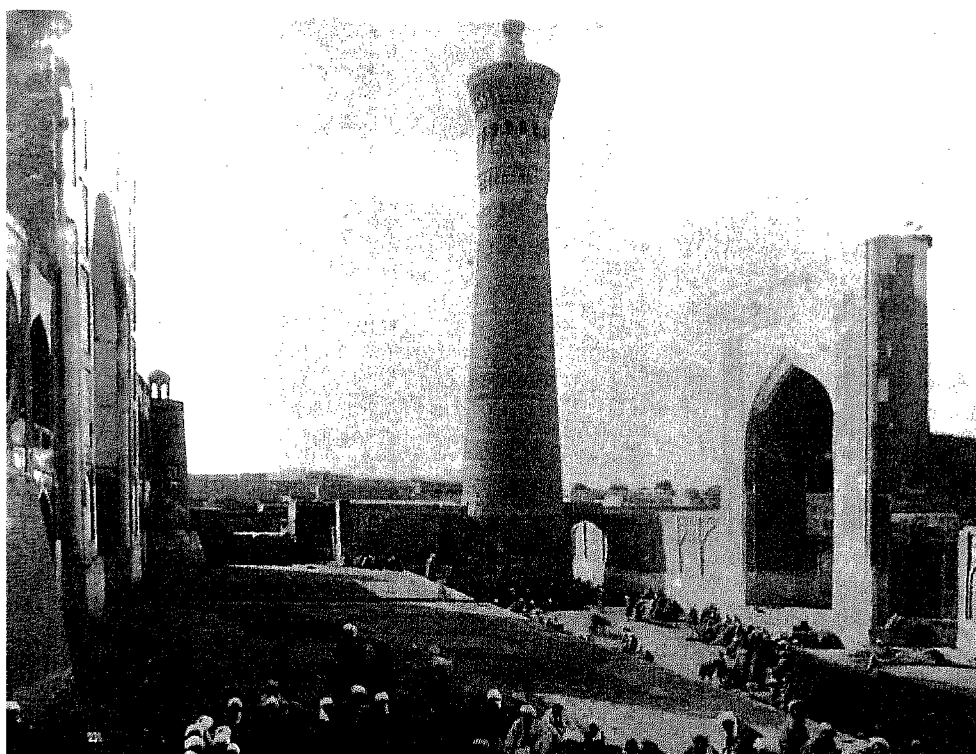
104 أسوار مدينة بخارى

تصوير: يرماكوف – ١٨٩٠– ١٨٩٩



105 صورة شاملة لبخارى

تصوير: نادار - ١٨٩٠- ١٨٩٩



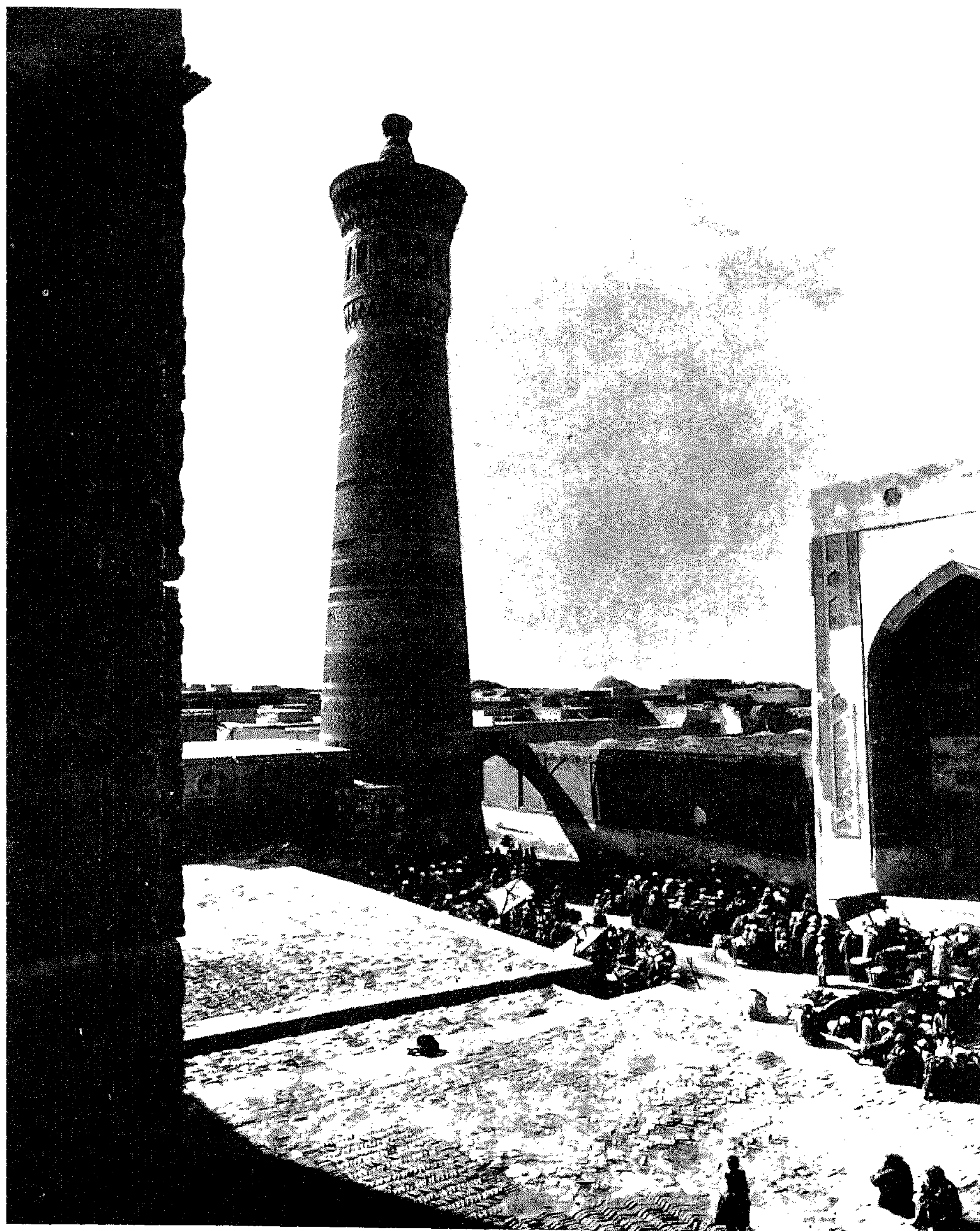
106 مجموعة بوا-كاليان

تصوير: يارماكوف - قبل ١٨٩٢



107 داخل مدرسة مير ـ العرب الدينية

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



108 مئذنة كاليان كما تُرى من مدرسة مير-العرب.

تصوير: نادار- ١٨٩٠- ١٨٩٩

الصورة ١٠٩ : مدرسة الغ بيك

لقد قام المعماري إسماعيل بن طاهر محمود أصفهاني بتشييد المدرسة سنة ١٤١٧ وفق طبق برونزي في الأرضية . ومدرسة بخارى هي أول مدرسة تبنى تحت إشراف ألغ بيك ، حاكم سمرقند ، وهي أقدم مدرسة دينية بقيت إلى اليوم في أواسط آسيا .

الصورة ١١٠ :

مجمع معماري أصيل بني حول بركة ليابي ـ هوز الاصطناعي في بخارى ، ويشمل على مدرسة كوكيلداش (١٥٦٨ ـ ١٥٦٩) أكبر مدارس بخارى ، ومدرسة نادر ديوانبجي (القرن السابع عشر) . وقد زرع شجر التوت الظاهر في هذه الصور سنة ١٤٧٥ وحوفظ عليه حتى اليوم .

الصور ١١١ ـ ١١٤ :

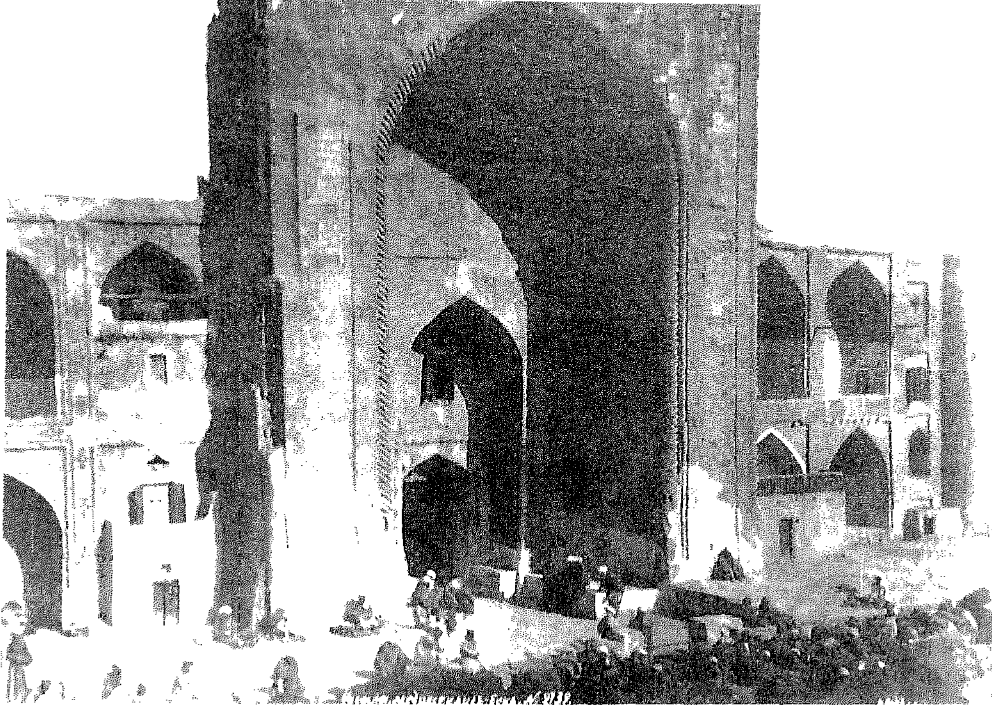
لقد شيد العديد من المعالم العمرانية في القرن السادس عشر في ساحة جوكاشون الكائنة في الحي التجاري الذي يحمل نفس الاسم . بنيت هذه المعالم التي تشتمل على مدرسة جاكوشوف ومئذنة ، هي ثاني أعلى مئذنة في بخارى بعد مئذنة كاليان ، والمسجد الشبيه بالكاثدرائية خوجا كاليان ،

وفيما بعد شيدت مدرسة علام مقابل المسجد . بقيت كل هذه المعالم إلى يومنا هذا ، باستثناء مسجد خوجا الذي لم يبق منه سوى جانب الرواق .

الصورة ١١٧ : مقبرة ومزار تركي دجاندي

كان هذا المزار ـ ضريح رجل ورع ـ مشهوراً ومبجلاً في بخارى . ولقد منع الناس من المرور أمامه راكبين . فكانوا يترجلون حين يصلونه ويسيرون على الأقدام وخيولهم وحيواناتهم الأخرى خلفهم . ووفق الأسطورة ، فإنه بإمكان المزار إلقاء الراكب الذي لا يترجل لجهله أو عدم احترامه ، على الأرض .

أعيد ترميم المزار اليوم ، واندثرت المقبرة .



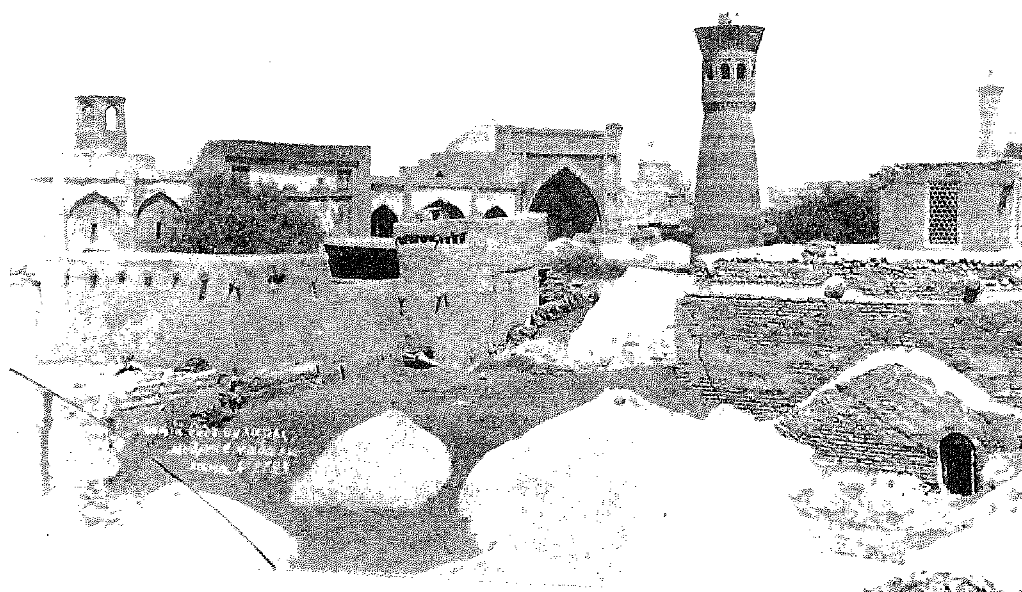
109 مدرسة الغ بيك

تصوير: هوردي – ١٨٨٠– ١٨٨٩



10 خاناقه نادر ديوابجي وليابي-هو

مصور مجهول – ١٨٩٠– ١٨٩٩



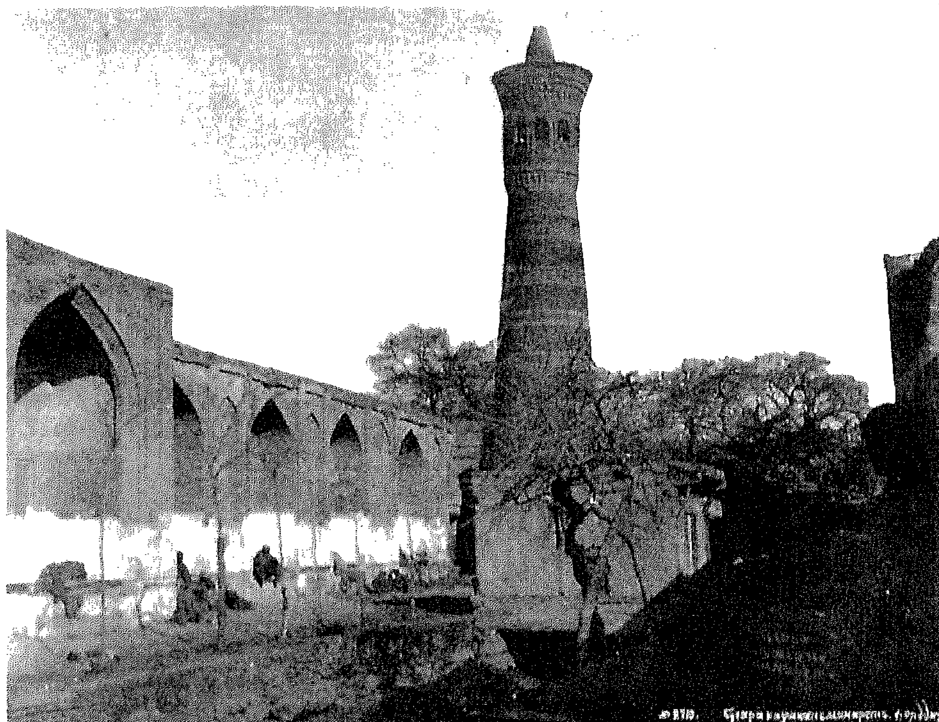
111 مجمع مباني جوكاشان (من اليسار إلى اليمين) مدرسة جوكاشان، مسجد خودزه، مئذنة جوكاشان

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



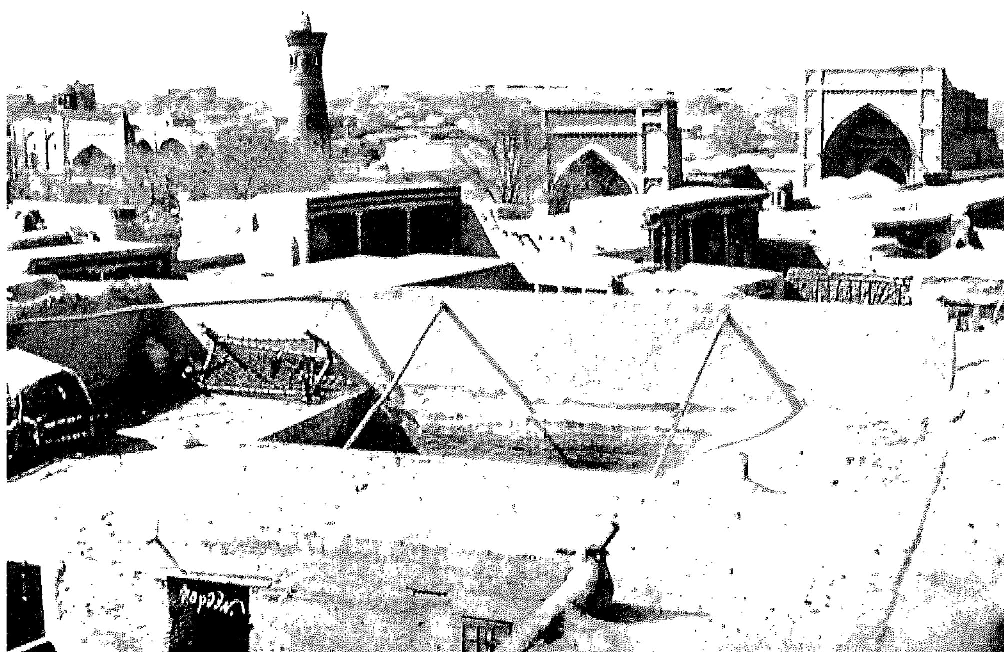
112 منظر مجمع جوكاشان مع نزل في المقدمة

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



113 رواق مسجد خودزه ومئذنة جوكاشان

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



114 منظر مجمع جوكاشان

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



115 سجن بخاری

تصویر: یرماکوف– ۱۸۹۰– ۱۸۹۹





117 مزار ومقبرة تركي دزهاندي

تصوير: هوردي – ١٨٨٠- ١٨٨٩



118 نزل هندي

مصور مجهول– ١٨٩٠ – ١٨٩٩



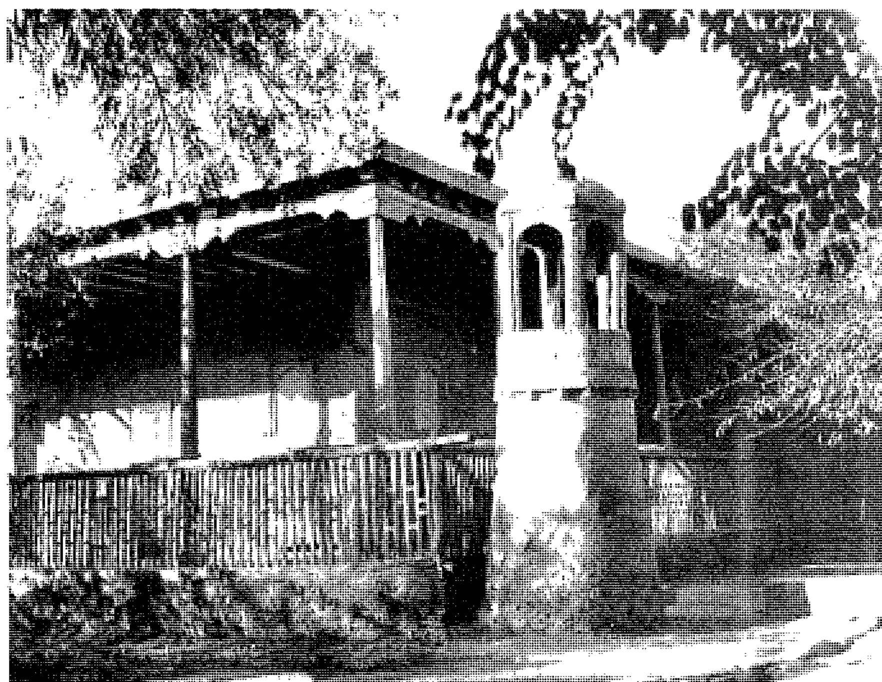
119 رواق طاكي تيدجاوت

تصوير: هوردي – ١٨٨٠ – ١٨٨٩



120 سوق بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



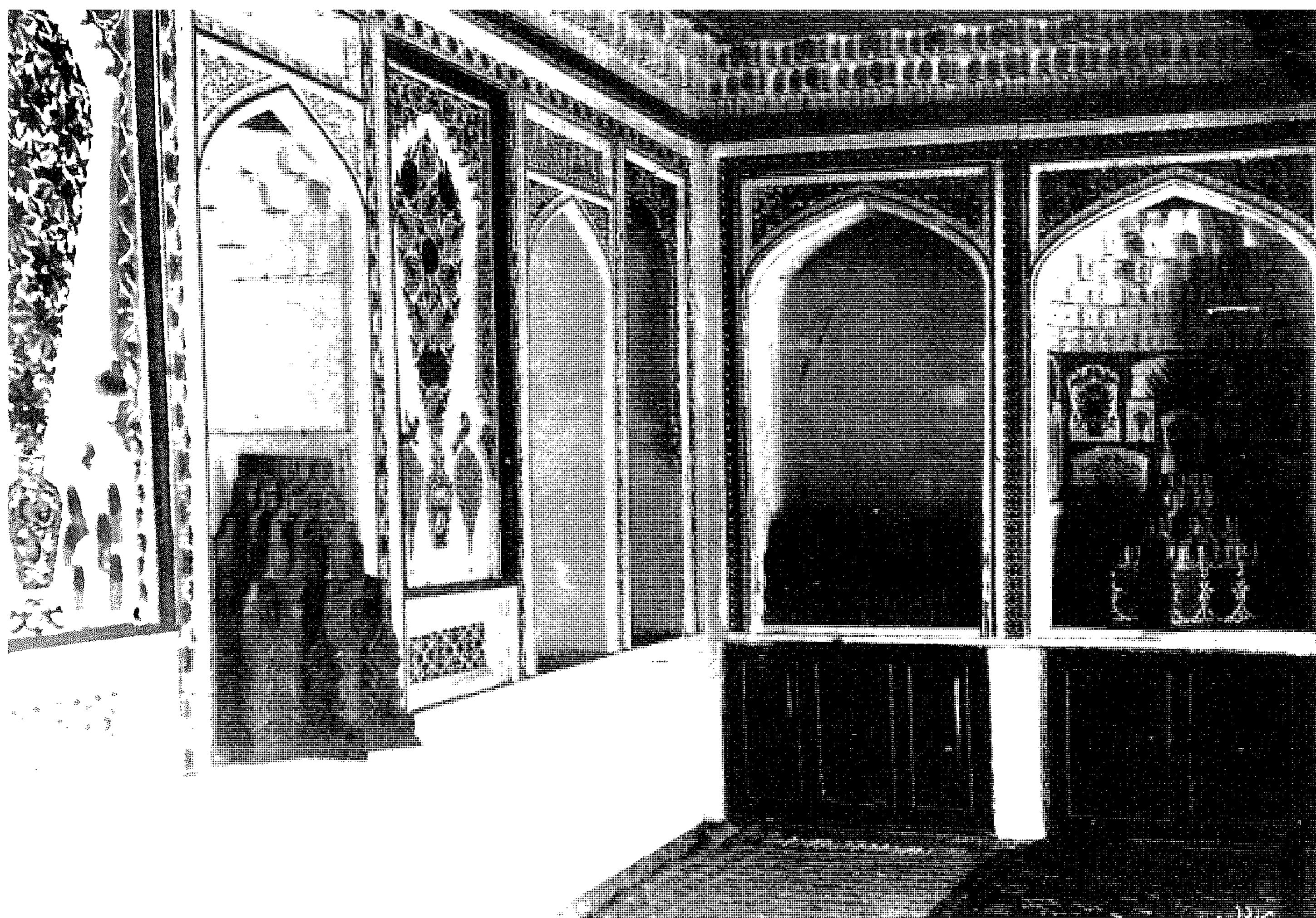
121 مسجد صغير في بخارى

تصوير: يارماكوف - ١٨٩٠- ١٨٩٩



122 إحدى مقابر بخارى

مصور مجهول - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



123 داخل احد بيوت رجل غني من بخارى

تصوير: هوردي - ١٨٩٠- ١٨٩٩

في جوار بخارى

الصورة ١٢٤ :

يعود تاريخ ضريح بويان كولي خان ، التحفة المعمارية في آسيا الوسطى ، إلى زمن تَجدّد ثقافتها بعد أن خربها المغول في القرن الثالث عشر .

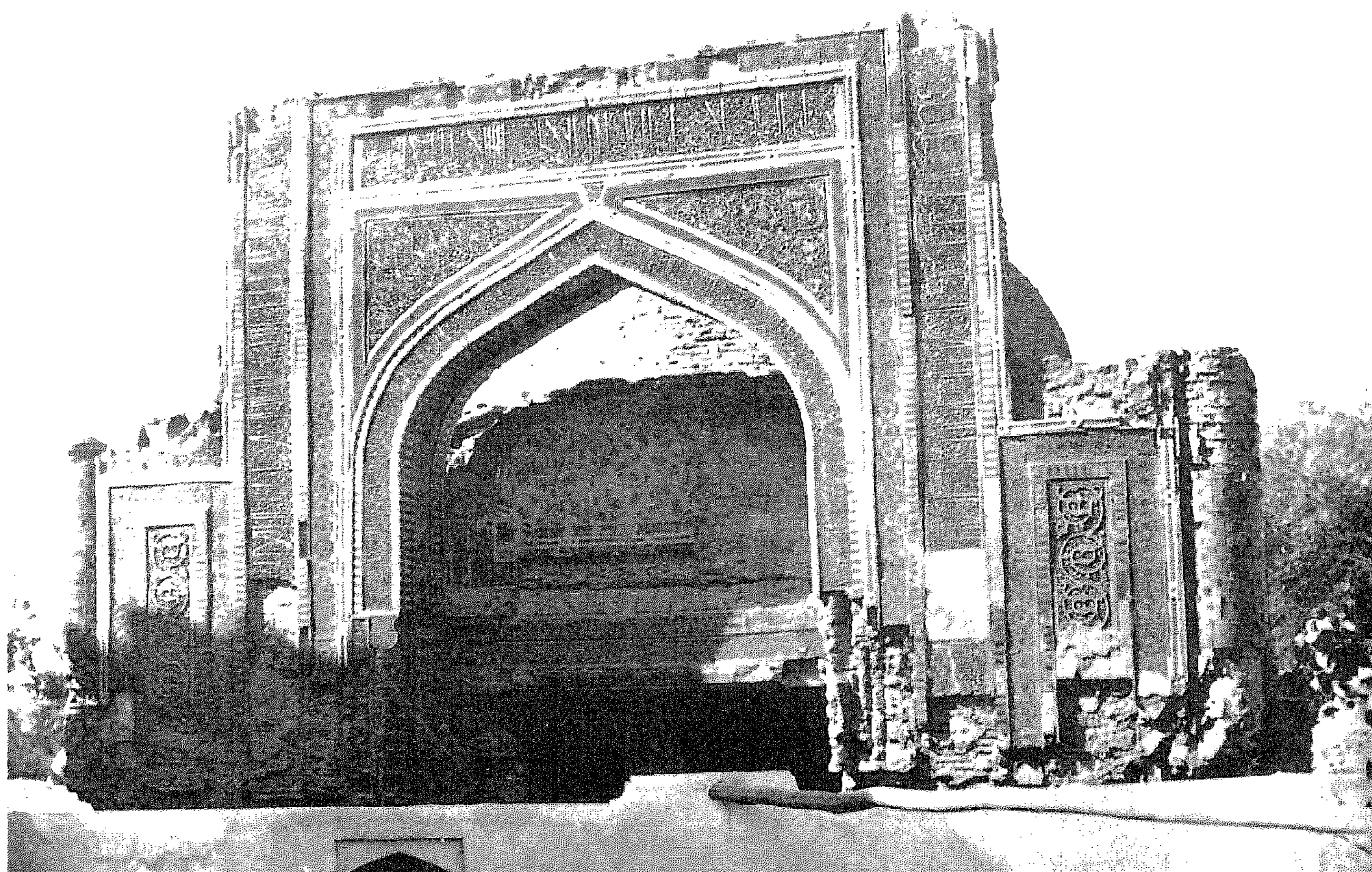
فقد قتل بويان كولي ، خان مغولي حكم البلاد في منتصف القرن الرابع عشر ، سنة ١٣٥٨ خلال ثورة شعبية في سمرقند ، ودفن في الضريح الذي بناه أساتذة البناء في بخارى . لايزال الضريح موجوداً حتى يومنا هذا .

الصورتان ١٢٥-١٢٦ :

كان مزار بهاء الدين ، الكائن في قرية تحمل نفس الاسم وتبعد عشرة كيلومترات عن بخارى ، أشهر مقام في مقاطعة بخارى وأكثرها شعبية . كان يعتبر المقام الرئيسي في بخارى ، وكان الرجل التقي الورع بهاء الدين نقشبندي ، مؤسس فرقة دراويش النقشبندي ، رئيس المدينة . بُني مسجدان قرب ضريح الولي الورع ، مسجد حكيم كوشبجي ومسجد عبدالعزيز - القرن السادس عشر - وكانت بينهما شرفة مُزَيّنٌ سقفها وجدارها الخلفي بالزخارف المتعددة الألوان وآيات من القرآن الكريم ، وصَفّ من الثريات والأضواء والمشاعل المتقنة الصنع والزجاج الملون يتدلى من السقف . (انظر الصور) .

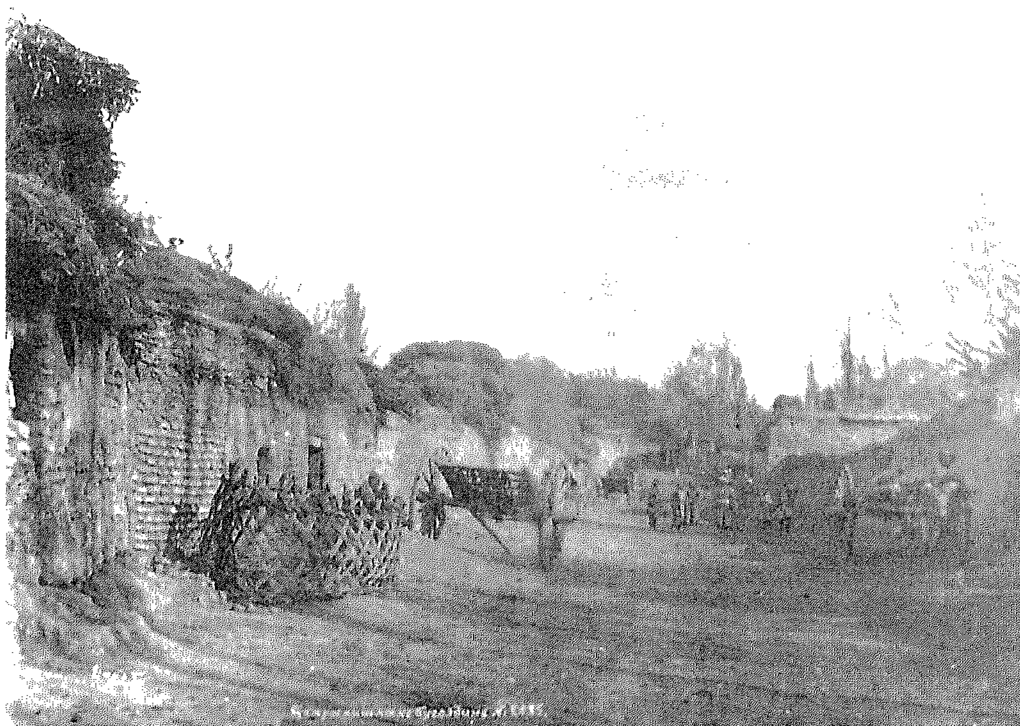
الصورة ١٢٧ :ـ

وكالة الإمبراطورية الروسية السياسية التي أسست لتمثل المصالح الروسية في بخارى بأمر من الإمبراطور الكسندر الثالث في يناير ١٨٨٦ ، كانت في إحدى أفضل عمارات بخارى ، ولا تبعد عن القلعة . وفي سنة ١٨٩١ شُيِّدت العمارات على نفقة الأمير في قرية كاجان (بخارى الجديدة) ، تظهر إحداها في صورة .



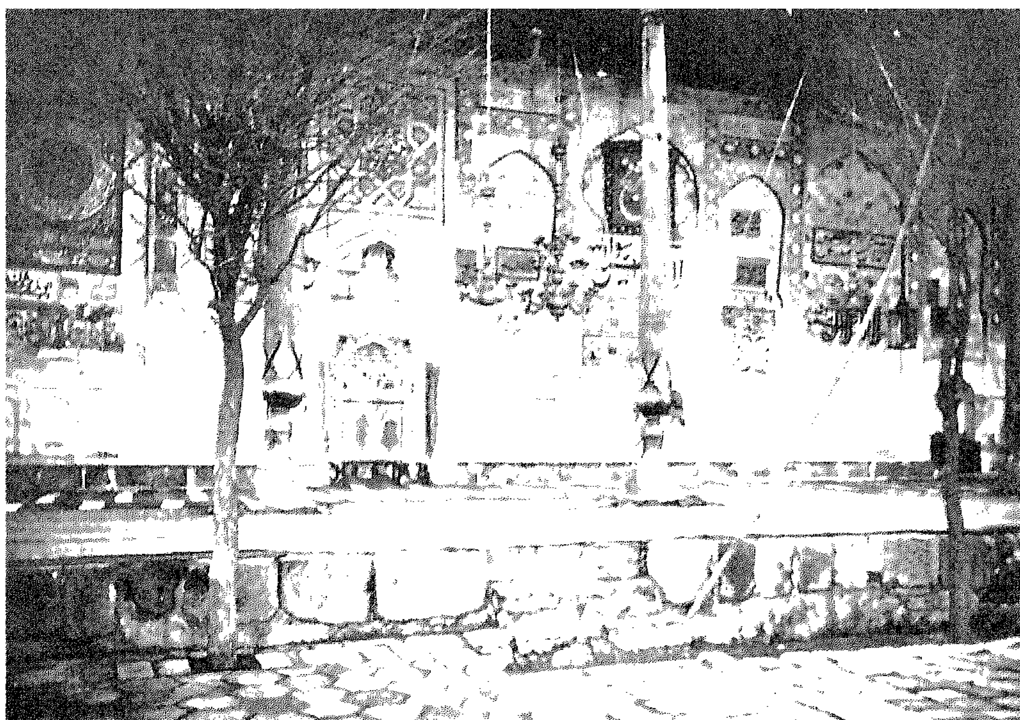
124 ضريح بويان كولي خان

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



125 شارع في قرية بهاء الدين

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



126 رواق في مزار بهاء الدين

مصور مجهول - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



127 إحدى بنايات وكالة الإمبراطورية الروسية السياسية في كوجان (بخارى الجديدة)

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



128 شارع في قرية كاراكول

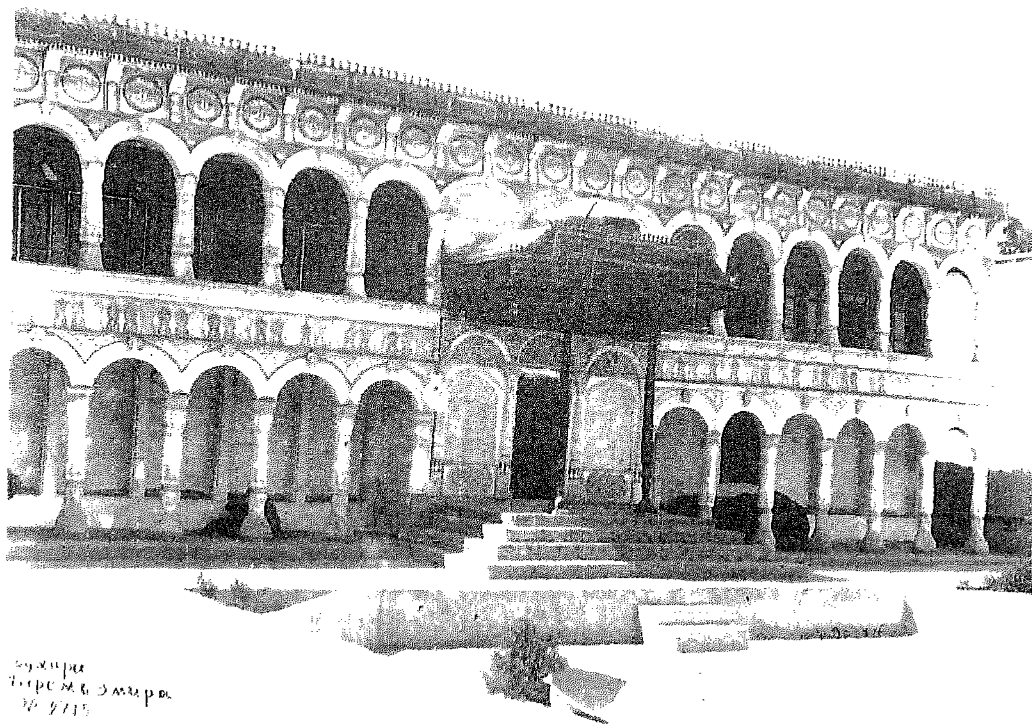
تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩

الصور ١٢٩ ـ ١٣٩ :

كانت القصور الريفية في شيربودون الأماكن المفضلة للترفيه لدى الأميرين مظفر الدين ، وعبدالأحد ، وفق وصف الأمير عبدالأحد شيربودون «هي زاويتنا المفضلة حيث نقضي معظم أيام السنة فيها . كل ضيوفنا الأوروبيين وجدوها ساحرة .» .

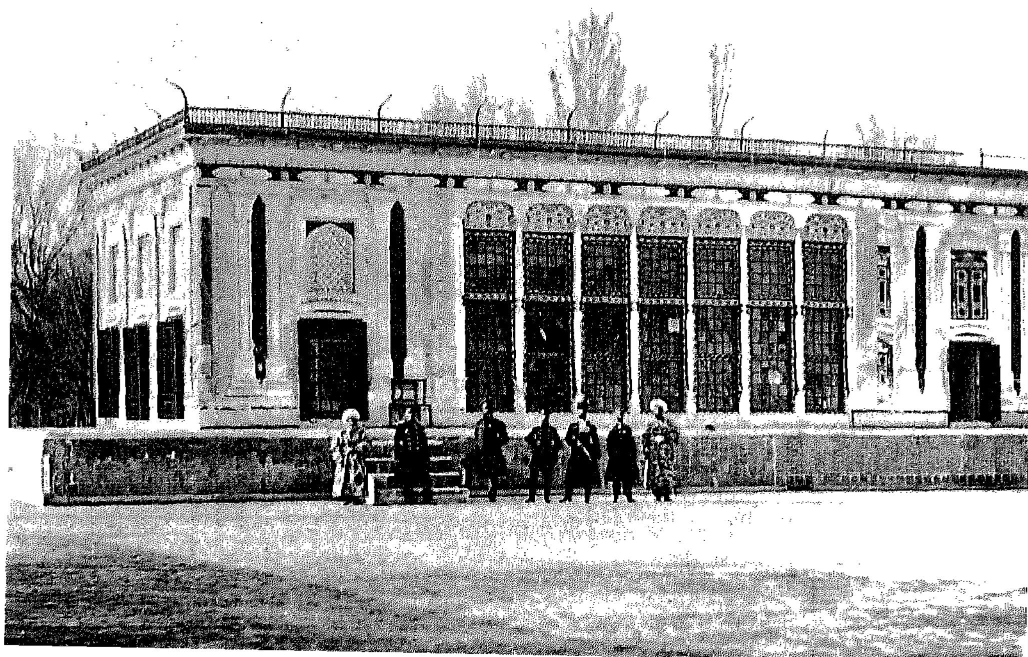
وفي سنة ١٨٧٠ ، شيدت بنايات جديدة في شيربودون ، بعضها بأمر من عبدالأحد .

ولاحقًا دمرت قصور شيربودون كليًا ولم يسمع كثير من أهالي بخارى بوجودها إطلاقًا .



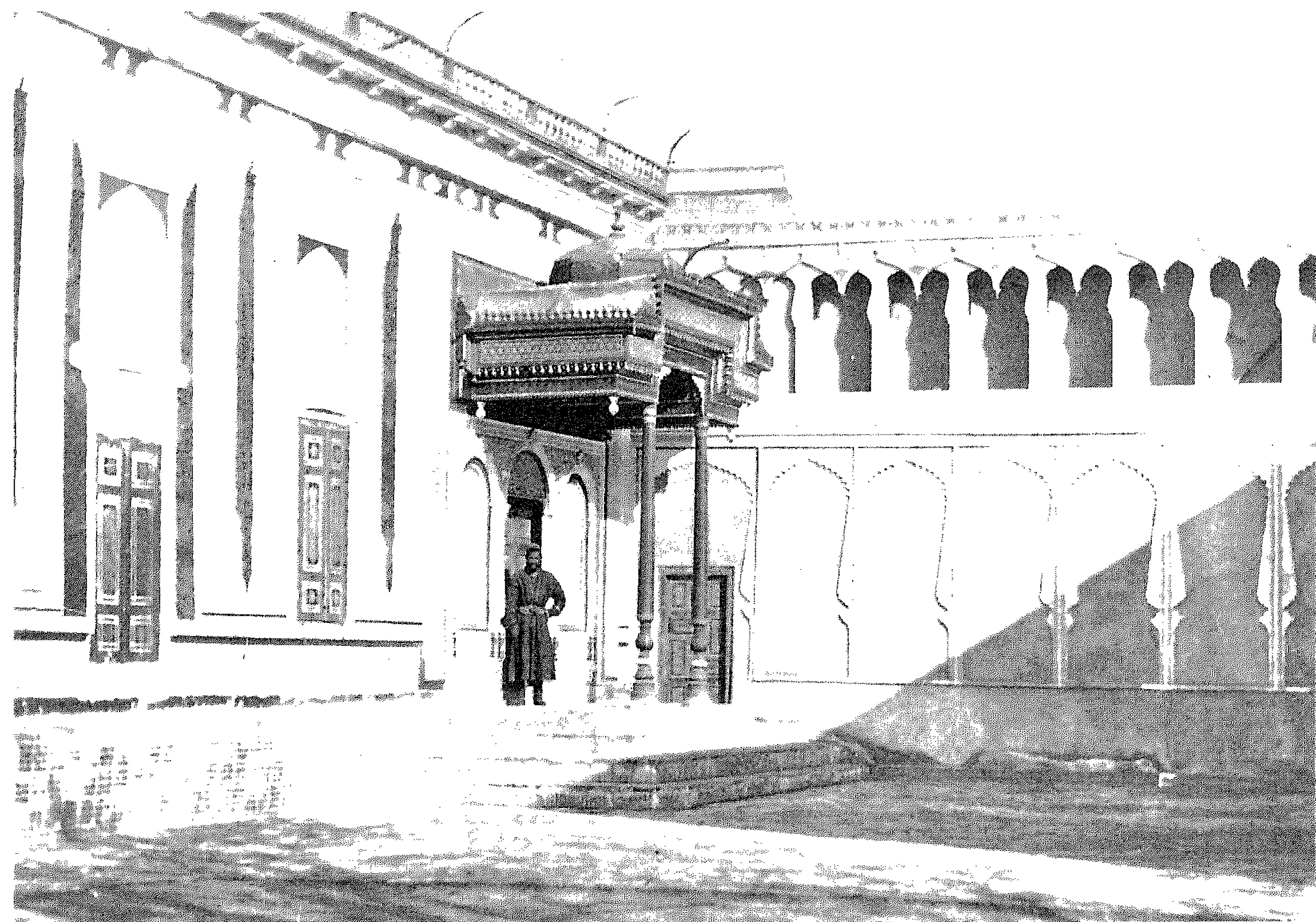
129 شيربودون. القصر القديم

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



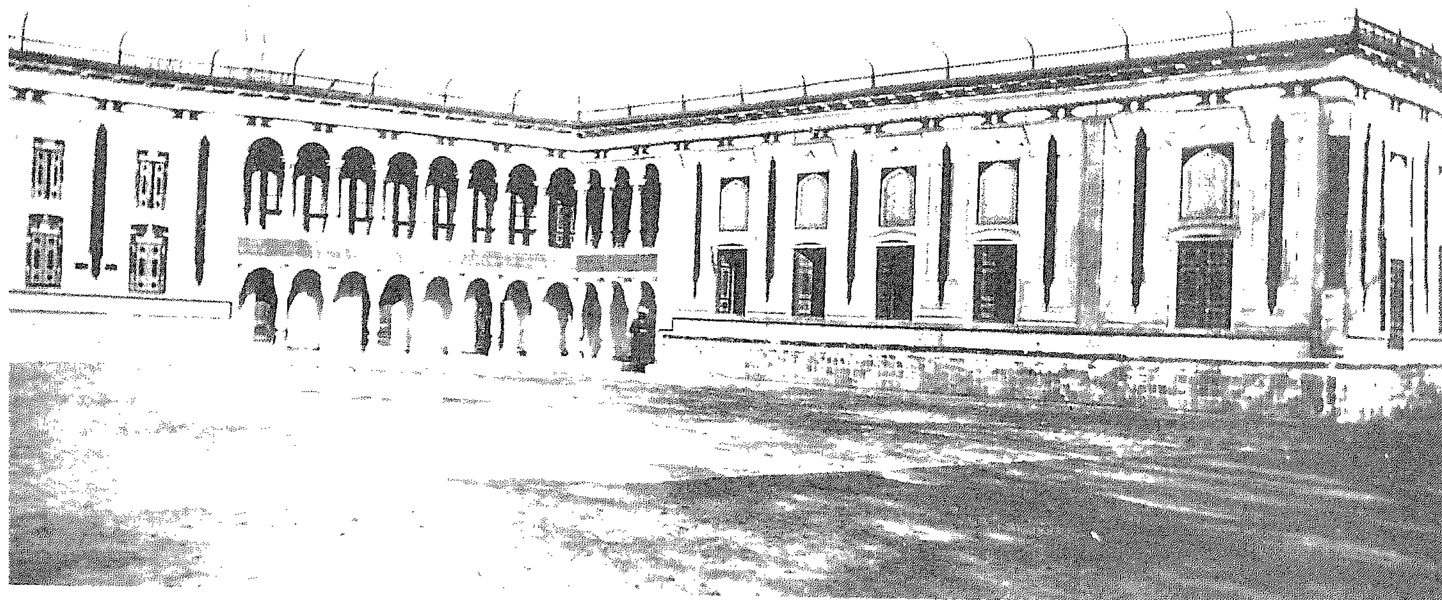
130 شيربودون. القصر القديم

مصور مجهول - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



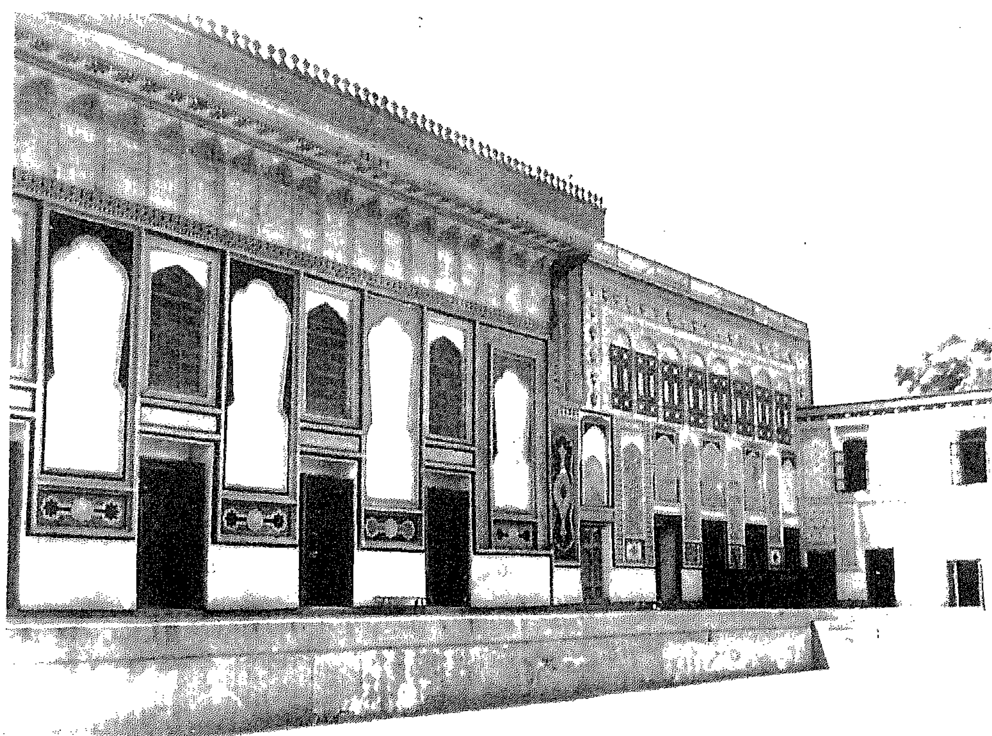
131 شيربودون. مدخل القصر

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



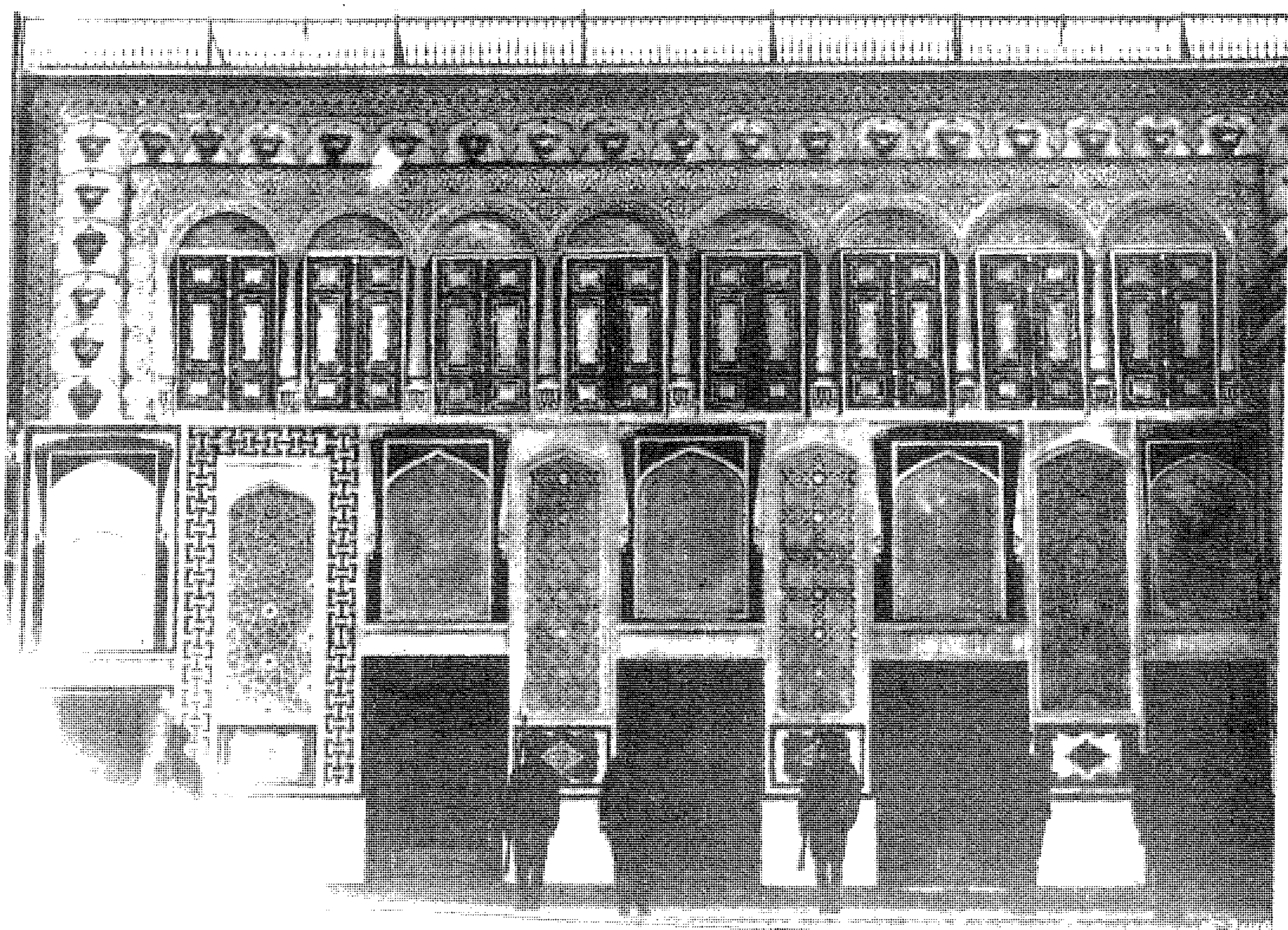
132 شيربودون. القصر القديم

مصور مجهول - ١٨٩٠- ١٨٩٩



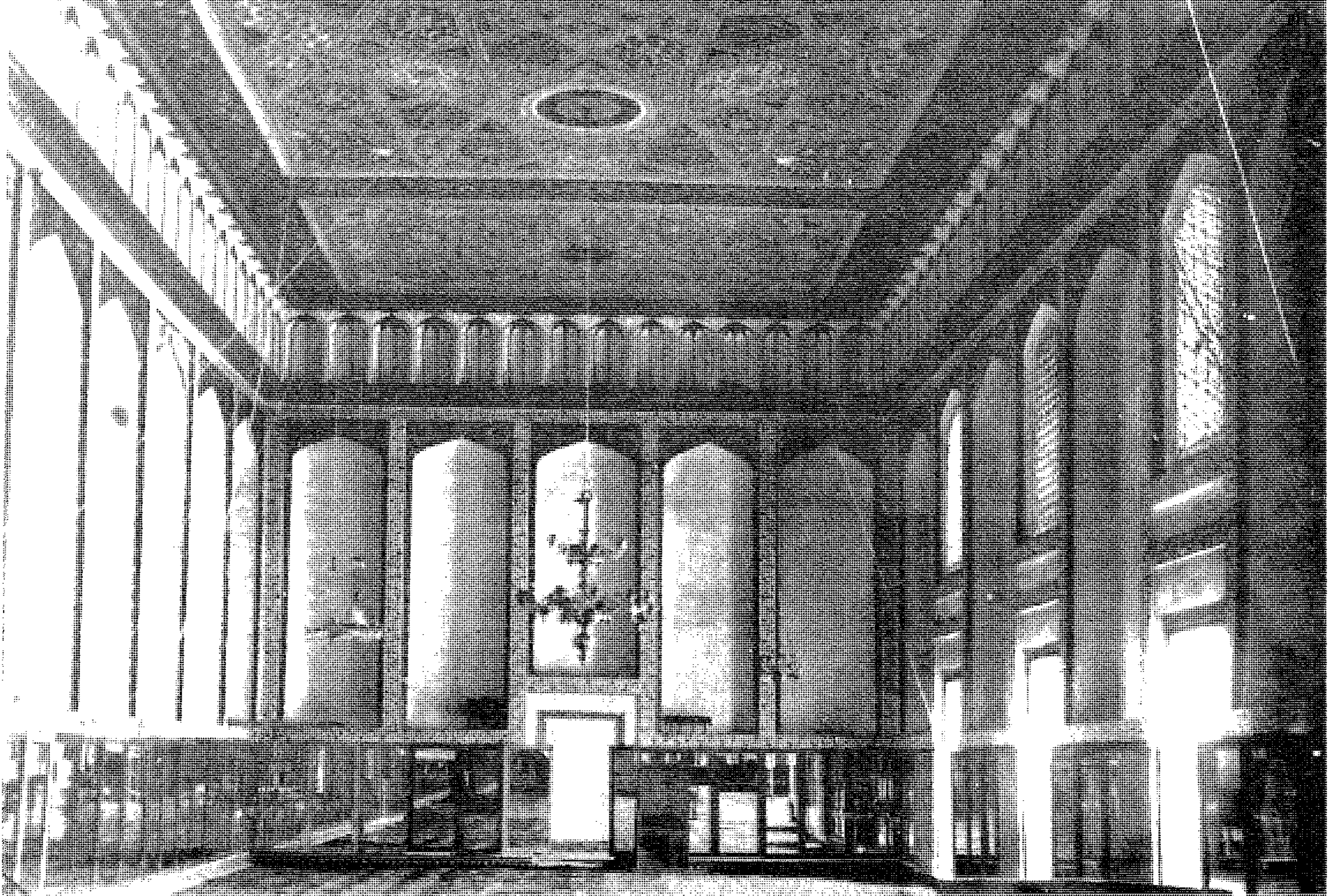
133 شيربودون. القصر القديم

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



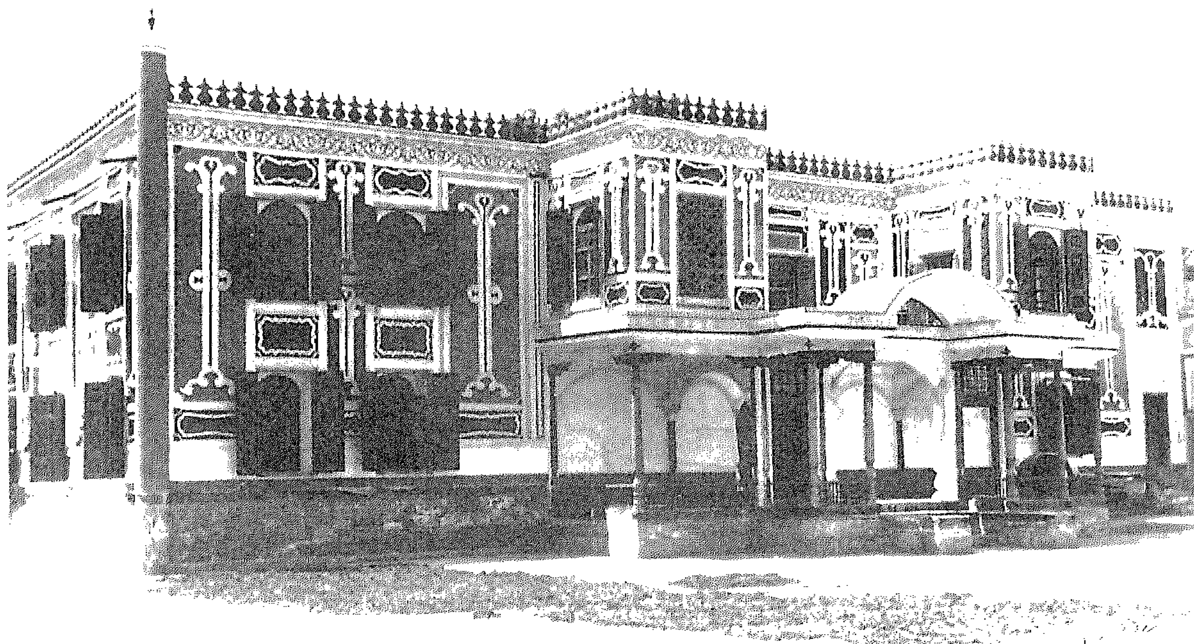
134 شيربودون. القصر القديم.

تصوير: هوردي - ١٨٨٠- ١٨٨٩



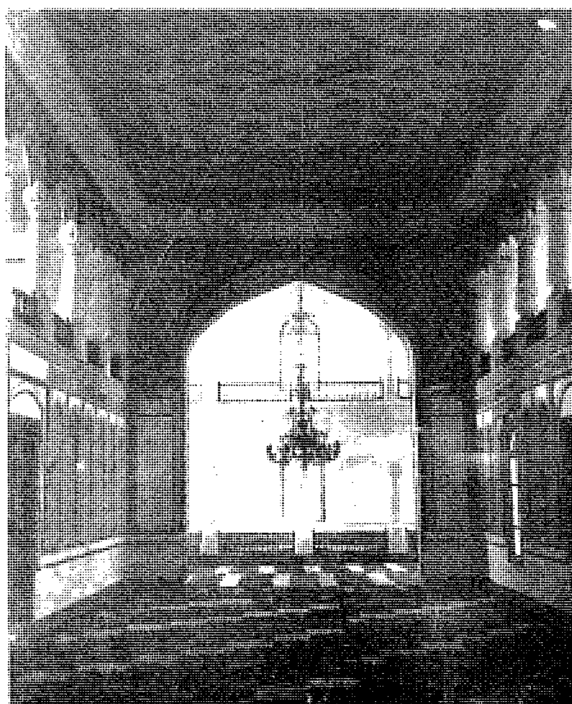
135 شيربودون. صالة المرايا في القصر القديم

مصور مجهول – ١٨٩٠– ١٨٩٩



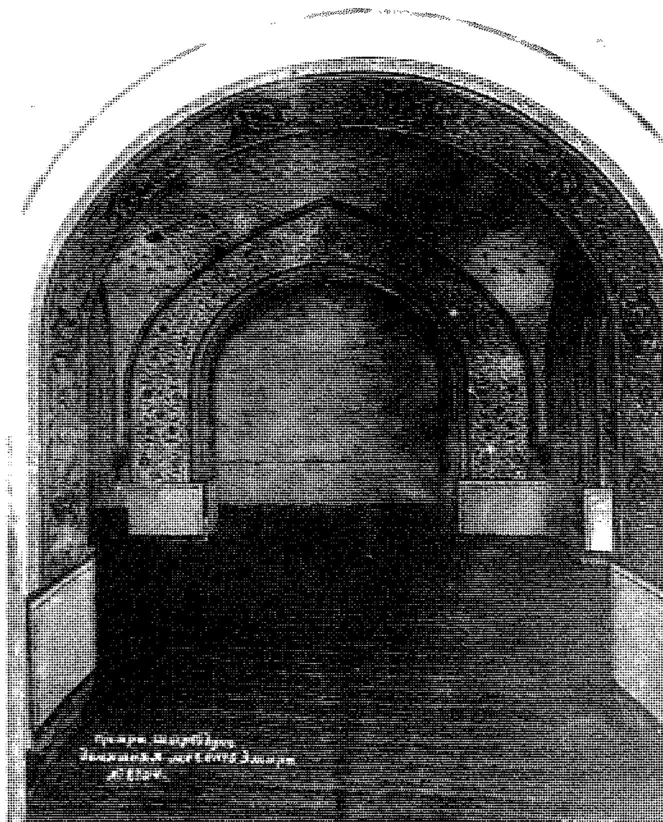
136 شيربودون. القصر الجديد

تصوير: هوردي - ١٨٩٠- ١٨٩٩



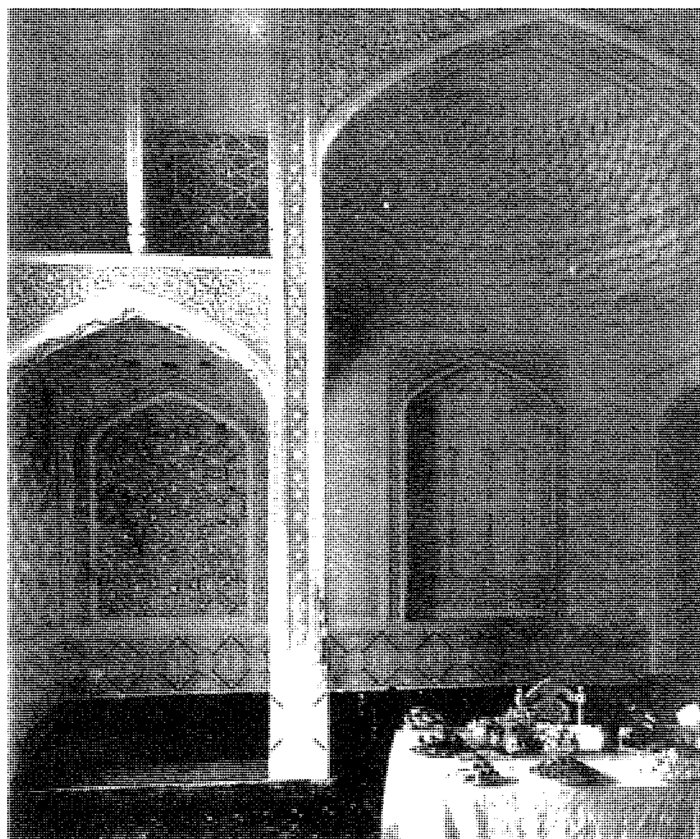
137 شيربودون. صالة في القصر الجديد

تصوير: هوردي - ١٨٩٠- ١٨٩٩



138 شيربودون. مسجد الأمير

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



139 شيربودون. مجلس

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩

مدن مقاطعة بخارى

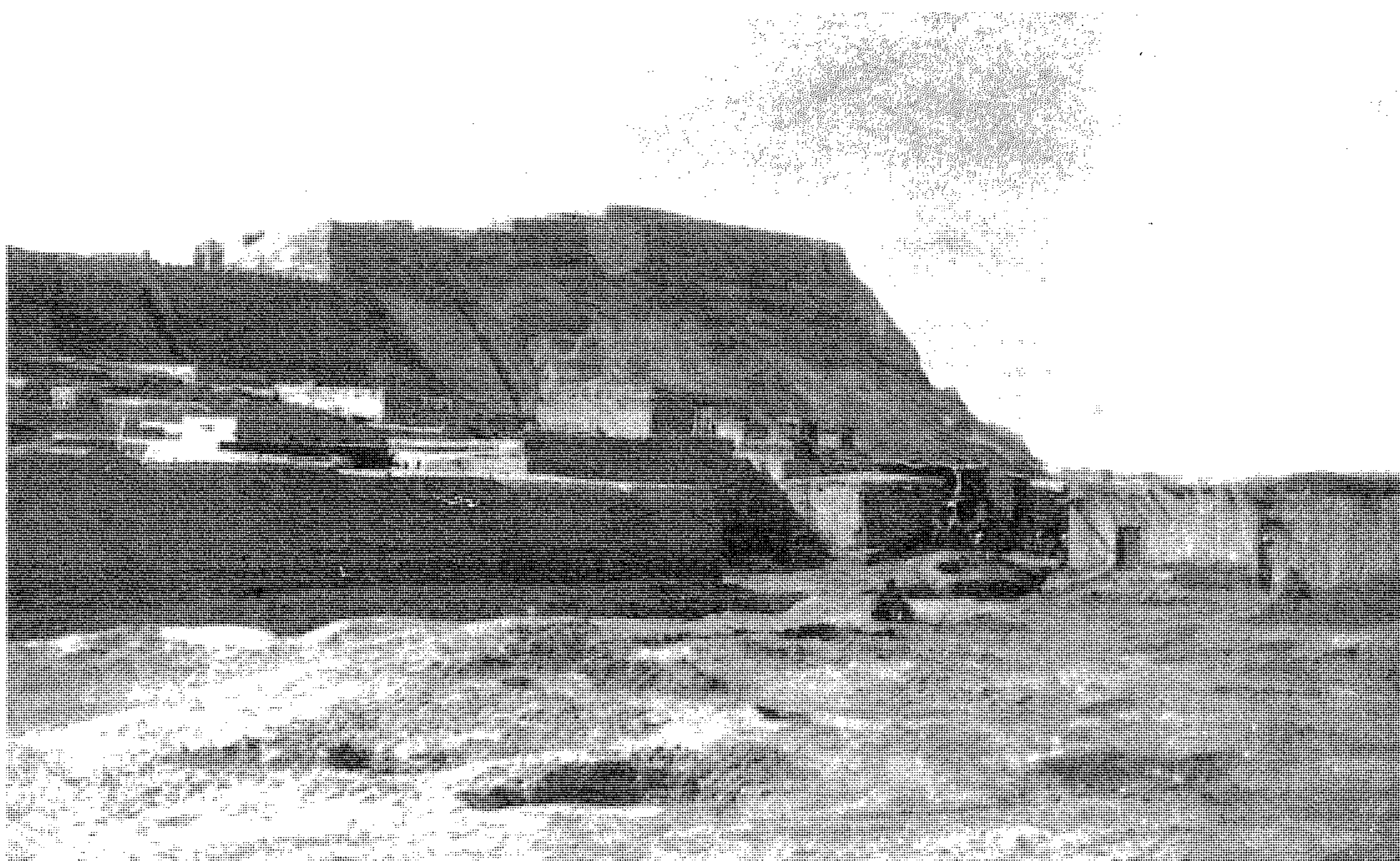
الصورة ١٥٨ :

نقتطف من رحّال روسي قوله إن نبع خوجا أناك الكبريتي «معروف منذ زمن بعيد ، وقَوي الإيمان به لشفائه الأمراض المختلفة . يأتي الناس إليه طوال السنة من مناطق كارشي ، وجوزار وكيليف . يعرف بعض كبار السن كيف يشفون الأمراض بمياهه . كان كل من شاء سوء حظه أن يصاب بمرض يبقى هناك مدة طويلة ، يستحم فيه حتى تشفى جراحه . وحين تنظف بشراتهم وتسقط عنها القشور يتركون البيوت ويصلّون إلى الله ويباركون النبع .



140 شاردزهوي. منظر القلعة

تصوير: يارماكوف – ١٨٩٠ – ١٨٩٩



141 حصن شاردزهوي

تصوير: سافينكوف - ١٨٧٨



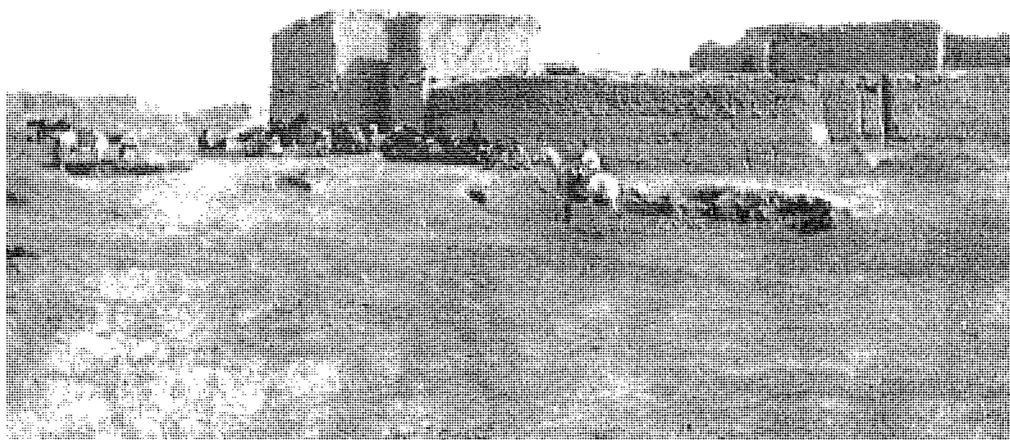
142 بوابات قلعة شاردزهوي

تصوير: هوردي- ١٨٨٠- ١٨٨٩



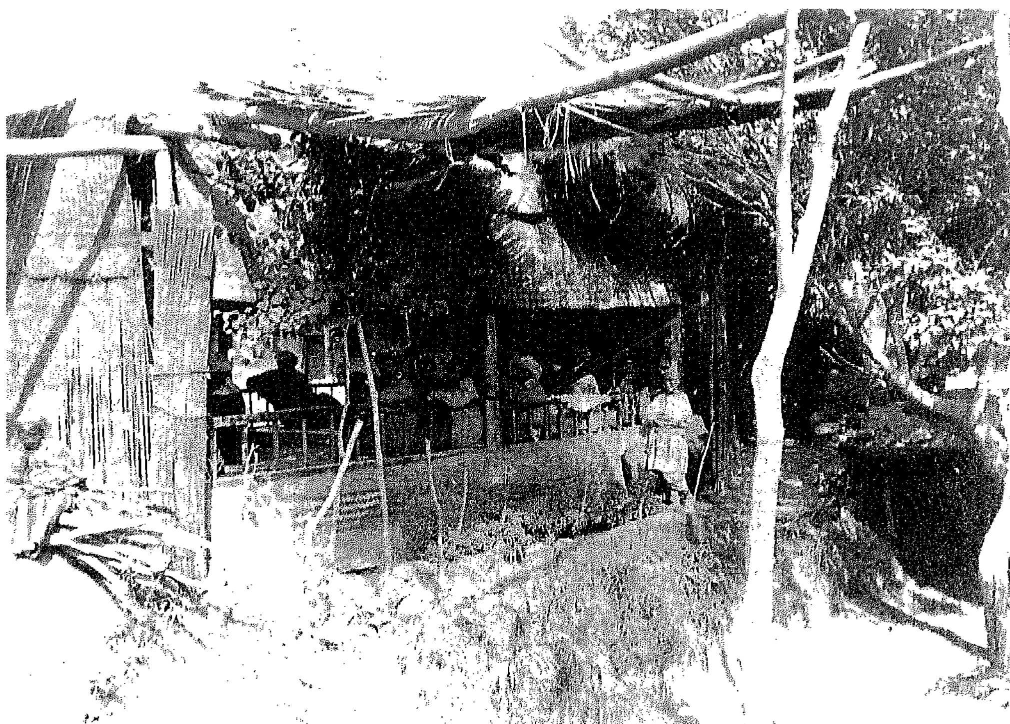
143 منظر عام لمدينة شاردزهوي

تصوير: يارماكوف- ١٨٩٠- ١٨٩٩



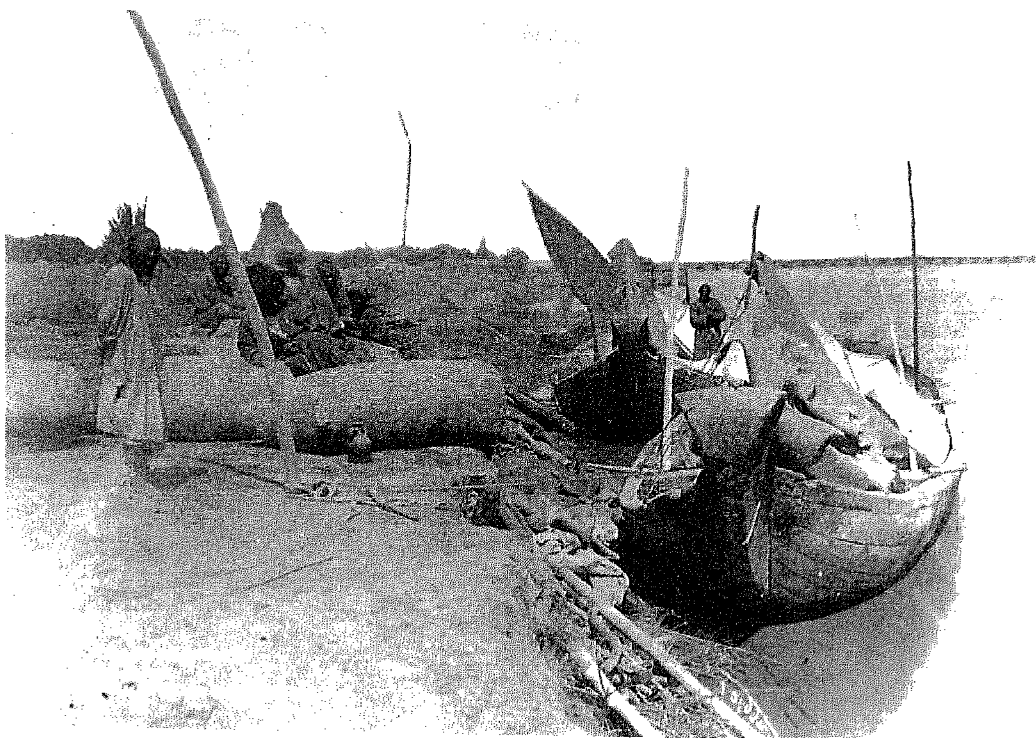
144 شاردزهوي. بيت القاضي

تصوير: سافينكوف – ١٨٧٨



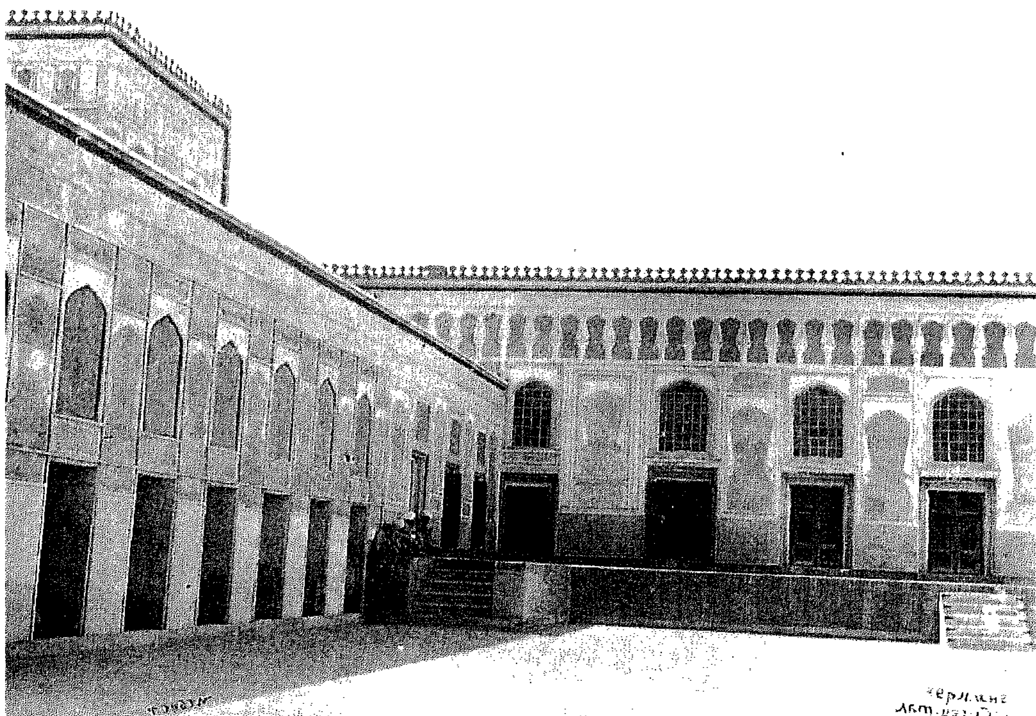
145 شاردزهوي. مقهى شاي

تصوير: سافينكوف – ١٨٧٨



146 قوارب في أم داريا في المنطقة المجاورة لشاردزهوي

تصوير: هوردي - ١٨٩٠ - ١٨٩٩



147 القرمين. قصر الأمير

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



148 مدرسة ياككاباج

تصوير: ل.س. بارششيفسكي - ١٨٩٠- ١٨٩٥



149 آثار في ولاية جوزار

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠- ١٨٩٩



150 آثار نزل في ولاية جوزار

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠- ١٨٩٥



151 مدرسة كولياب

تصوير: ل.س. بارششيفسكي - ١٨٩٠ - ١٨٩٥



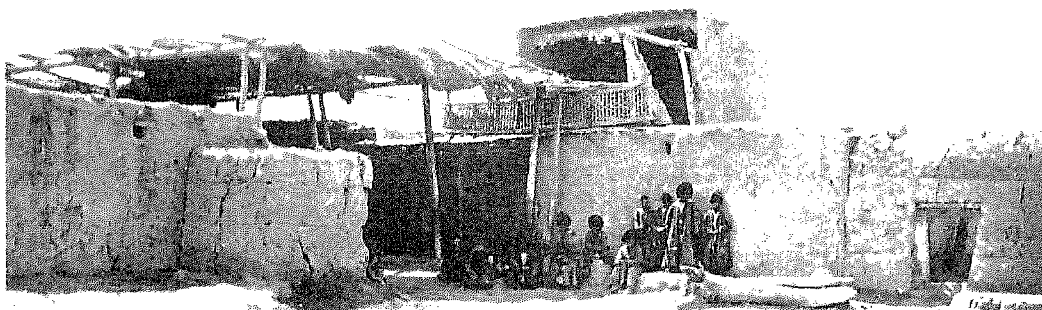
152 مزار كولياب

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠- ١٨٩٥



153 كيركي. مسجد المدينة

تصوير: سافينكوف - ١٨٧٨



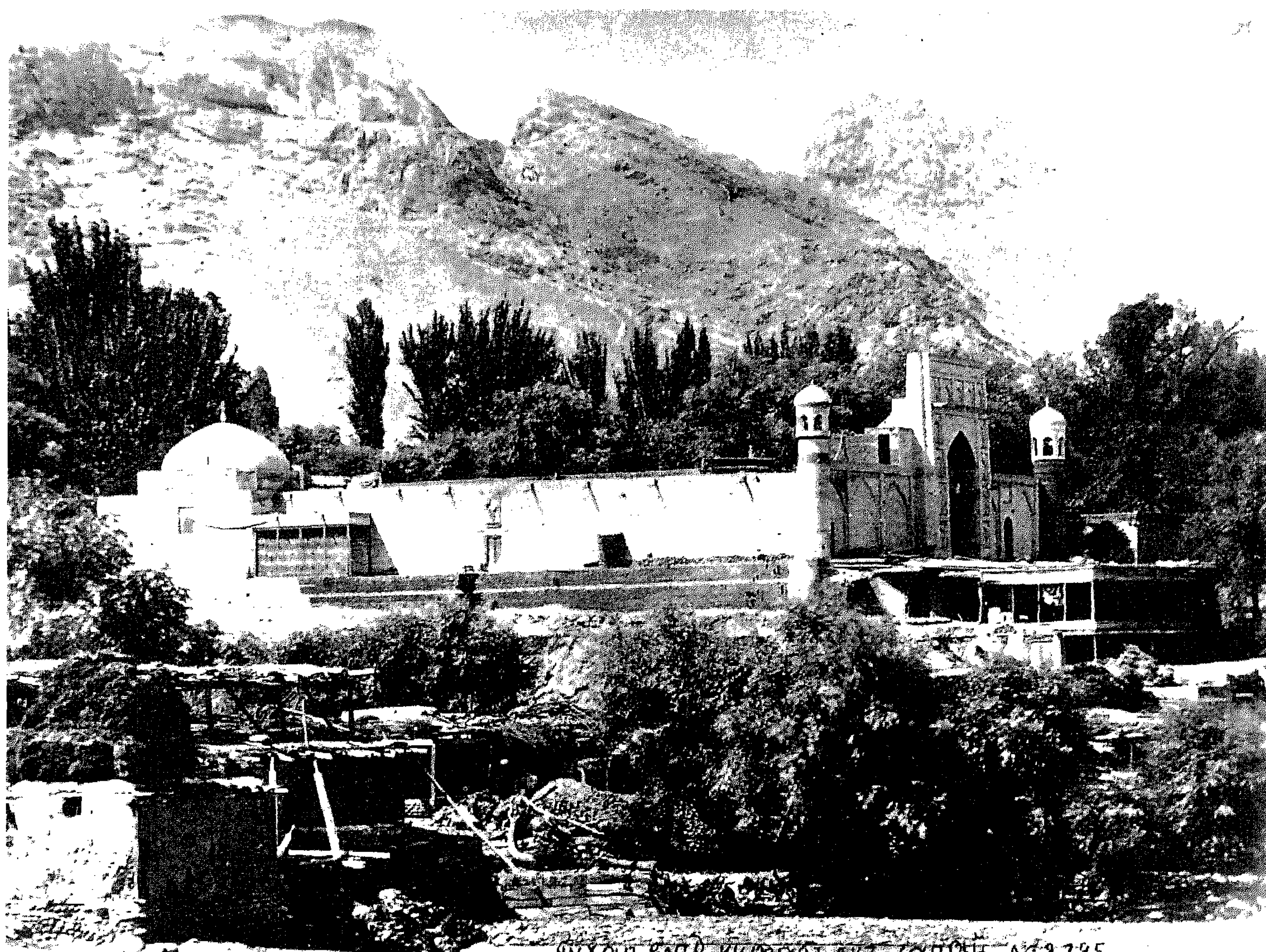
154 كيركي، سوق مسقوف

تصوير: سافينكوف – ١٨٧٨



155 كليف. حصن

تصوير: سافينكوف – ١٨٧٨



156 مسجد في كيتاب

تصوير: هوردي - ١٨٨٠ - ١٨٨٩



157 مقبرة سينج توب

تصوير: ل. س. بارششيفسكي - ١٨٩٠ - ١٨٩٥



158 نبع خوجا أتلك الكبريتي

تصوير: ل.س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



159 دينو. مركز البلدة

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



160 فيزاباد. ساحة السوق

تصوير: ل. س. بارششيفسكي – ١٨٩٠ – ١٨٩٥



161 قرية في ولاية بالادزوهان

تصوير: ل.س. بارشتيفسكي - ١٨٩٠ - ١٨٩٥



162 كالي - خوم - شارع

تصوير: ل.س. يارششيفسكي - ١٨٩٠ - ١٨٩٥



163 جدول في ولاية بالادزوهان

تصوير: ل.س. بارششيفسكي - ١٨٩٠- ١٨٩٥

المحتويات